جمال البنا

جناية قبيلة "حدثنا"

دار الفكر الإسلامي
١٩٥ شارع الجيش ـ ١١٢٧١ القاهرة ـ هاتف وفاكس : ٢٥٩٣٦٤٩٤
E-mail : gamal_albanna@yahoo.com
gamal_albanna@infinity.com.eg
www.islamiccall.org

الحمد لله
الذي لا نعبد أحدًا سواه

مُقَدِّمَة

أبادر فأقول ليس في هذا العنوان ما يمس السُنة ، إن السُنة كما هو معروف هي العمل والمنهج والدأب ، وهي الطريقة والسيرة فلها طبيعة عملية ، وبهذا تختلف عن الأحاديث التي لها طبيعة قولية أو شفهية ، على أن موضوعنا لا يمس الحديث أيضًا ، وإنما هو ينصب على فئة نصبت نفسها لتجميع الأحاديث ونسبتها إلى الرسول ﷺ ، وفيها من الخصائص ما يجعلها هيئة مستقلة لها طابعها المميز ، وتعد من أقوى الهيئات تأثيرًا على الفكر الإسلامي ، وترى في نفسها أنها من الفرق الناجية من الثلاثة وسبعين فرقة التي انشق إليها المسلمون ، لأنها تحمل اسم الرسول ، وتدعي رواية حديثه ، وأدت عوامل عديدة لأن تكون أقوى مجموعة في المجتمع الإسلامي ، وأثرت عليه أكثر مما أثرت مجموعة أخرى ، ولكن الضرورات التي تحكمت فيها كانت سيئة للغاية ، وانعكست عليها وعلى الفكر الإسلامي .

الشاهد ، أن الكلام على الحديث غير الكلام عن السُنة وأنه عن المحدثين غيره عن الحديث نفسه ، وهذه الرسالة هي عن قبيلة "حدثنا" ، فمن التجاوز وخلط الأوراق ومخالفة الحقيقة ، أن تُعد أي إشارة فيها مساسًا بالسُنة ، وأنا أستبعد أن يكون هناك مسلم "ينكر" السُنة ، لأن السُنة هي التي علمته كيف يصلي ؟ وكيف

يحج ؟ وكيف يصوم ؟ .. الخ ، فإن القرآن الكريم لم يتحدث عن تفاصيلها ، وترك ذلك للرسول ﷺ لكي يبينها بعمله للناس ، وقد قام الرسول ﷺ بذلك عندما قال للمسلمين : "صلوا كما رأيتموني أصلي" ، وصلى وصلت وراءه الأجيال الأولى من الصحابة ، وعن هذه الأجيال نقل التابعون الصلاة ، وعن هؤلاء التابعين نقل من جاء بعدهم حتى وصل إلينا ، وتكرر هذا في الحج "خذوا عني مناسككم" ، وفي الزكاة عندما حدد نسبتها ، وقد قدر لي أن أعرف عددًا من الذين ينبذونهم بنكران السُنة فلم أجد أحدًا منهم يساوره شك في السُنة العملية ، فهم جميعًا يؤمنون بها ويمتثلون لها في صلاتهم ، ولكن ما ينكرونه هو هذه الأحاديث التي تترى وتطلق آراء وتبدي أحكامًا كلها مخالفة للحقيقة ، ولما أثمره العلم وأثبته العمل .

وقد كتب أحد المؤلفين الذين تخصصوا في هذا الموضوع كتابًا باسم "شبهات منكري السُنة"[1] ، وأثبت على الغلاف قائمة بأسماء هؤلاء (طه حسين ، أحمد أمين ، زاهد الكوثري ، حسين هيكل ، فريد وجدي ، زكي مبارك ، جورج زيدان ، قاسم أمين ، محمود أبو رية ، أحمد أبو شادي ، توفيق الحكيم ، سعيد العشماوي ، حسين أمين ، رشاد خليفة ، صبحي منصور ، مصطفى المهدوي ، مصطفى محمود ، معمر القذافي ، حسن الترابي ، إسماعيل منصور ، محمد مشتهري) .

---

(١) الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله : شبهات وشطحات منكري السُنة ، بيت الحكمة ، القاهرة .

فانظر إلى هذا الخلط العجيب ما بين وكيل المشيخة الإسلامية في تركيا وبين مهندس كمبيوتر في الولايات المتحدة ، وما بين محقق مثل أحمد أمين وفنان مثل توفيق الحكيم .. الخ ، وأستطيع أن أقطع أن ثلاثة أو أربعة من هؤلاء هم الذين لا يرون أن للحديث حجية في إصدار الأحكام ، وأن هذا هو ما يقوم به القرآن وحده دون أن ينكروا السُنة العملية .

إن تهمة (إنكار السُنة) أصبحت مثل (عداء السامية) سلاحًا يشهره أصحابه على الذين يخالفونهم دون تمييز ، ونوعًا من الإرهاب الفكري له حصانته .

إننا في هذه الرسالة سنتابع ظهور "قبيلة حدثنا" من الأيام الأولى للرسول والخلفاء الراشدين ، عندما لم يكن لهم وجود ملحوظ ، ثم التطور الخارق الذي حدث للمجتمع الإسلامي نتيجة تركه لمجتمع المدينة المحدود ، وبدأ المرحلة الإمبراطورية وانعكاساتها التي انتهت بأن وضع الأحاديث أصبح ضرورة لا مناص عنها ، وبالتالي ظهرت "قبيلة حدثنا" ، وتتحدث الرسالة عن العوامل التي تضافرت لتجعل من وضع الحديث ضرورة ، وكيف أن مناخ الاستحلال دفع العملية قدمًا وبلا تردد بحيث أصبح هذا الوضع طوفانا غطى تربة العالم الإسلامي بطبقة من المرويات التي اندثر معظمها مع توالي فعل عوامل التعرية والتطور ، ولكن بعد أن خلفت آثارًا وبيلة على الفكر الإسلامي طال العقيدة وشمل القرآن وأساء إلى الرسول ﷺ ، ثم فرض

على الفرد المسلم شخصية نمطية غيبية غبية ، كما خرب المجتمع .

وأردنا بهذا أن نطهر العقيدة والقرآن والرسول ﷺ مما افتروه ، وأن نخلص المجتمع الإسلامي من أشد القيود وثاقة وأعمقها أثرًا عليه ، فردًا ومجتمعًا ، حتى ينفسح الطريق أمام التقدم .

نوجه نظر القارئ إلى أننا في مادة هذه الرسالة رجعنا إلى كتابنا "الأصلان العظيمان .. الكتاب والسُنة" (١٩٨٢) ، وكتابنا "السُنة ودورها في الفقه الجديد" ، وهو الجزء الثاني من كتاب "نحو فقه جديد" ، كما رجعنا إلى كتاب "مشكلة الحديث" للأستاذ يحيى محمد (دار الانتشار العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧) الذي أفادنا بأمر جديد هو الاستعانة بالمكتبات الإليكترونية التي أغنت الباحث عن اقتناء المراجع والعودة إليها ، وعلى رأسها شبكة المشكاة الإليكترونية ومكتبة سحاب السلفية الإليكترونية ومكتبة يعسوب الدين الإليكترونية ، وقد اقتبسنا منه معظم ما جاء في الفصل الأول .

القاهرة في شوال ١٤٢٩ هـ
أكتوبر ٢٠٠٨ م

جمال البنا

الفصل الأول

مرحلة المدينة
تحريم التدوين والإقلال من الرواية

في عهد الرسول وحتى نهاية الخلافة الراشدة كان الموقف من رواية الأحاديث يخضع لمبدأين بينهما الرسول ﷺ وتابعه عليهما الخلفاء الراشدون :

المبدأ الأول : تحريم كتابة الحديث .

المبدأ الثاني : إباحة تناقله شفاهًا مع الإقلال من الرواية والتحرز فيها .

لقد ادعى المحدثون أن كتابة السُنة بدأت في عهد النبي وبإذن منه أيضًا ، مستدلين بكتابة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأن قريش حذرته من أن يكتب كل ما يقوله الرسول ﷺ في الرضا والغضب ، وأنه سأل الرسول ﷺ ، فقال : "اكتب .. فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق" ، وهذه الصيغة توحي كأنما كان عبد الله بن عمرو مترصدًا للرسول ﷺ يصاحبه ليل نهار ، ويكتب كل ما يقوله في "الرضا والغضب" ، كأن ليس له من عمل إلا هذا ، والحقيقة أن الصحيفة التي كتبت فيها عمرو وأطلق عليها "الصادقة" ، لم تكن سوى أحاديث معدودة ، ووجد من يقول : ما يسرني أنها لي بفلسين .

كما يستدلون بأن الرسول ألقى خطبة فأعجبت أحد المستمعين من اليمن ، فسأل أن تكتب له ، فقال الرسول "اكتبوا لأبي شاه" .

إن هذه الأحاديث إذا صحت ــ وفي النفس شيء عن رواية عبد الله بن عمرو ــ فإنها لا تعدو إلا استثناء من المبدأ العام ولشخص واحد ، ولذا لا تُعد حجة في التصريح بكتابة الحديث .

أما الذي يُعد فهو الأحاديث المتعددة عن تحريم الكتابة فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن النبي قال : (لا تكتبوا عني شيئاً ، فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه ، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار) ، وكذا روي عن زيد بن ثابت أن النبي نهى أن يكتب حديثه .

وروي عن أبي هريرة أنه قال : خرج علينا رسول الله ونحن نكتب الأحاديث ، فقال : (ما هذا الذي تكتبون ؟ قلنا : أحاديث نسمعها منك ، قال : أكتاب مع كتاب الله ؟ امحضوا كتاب الله وخلصوه ، أتدرون ما ضل الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى) ، قلنا : أنحدث عنك يا رسول الله ؟ قال : (حدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار) ، قلنا : فنتحدث عن بني إسرائيل ؟ قال : حدثوا ولا حرج ، فإنكم لن تحدثوا عنهم بشيء إلا وقد كان فيهم أعجب منه) .

قال أبو هريرة فجمعناها في صعيد واحد فألقيناها في النار ، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة أنه قال : بلغ رسول الله أن ناسًا

كتبوا حديثه ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (ما هذه الكتب التي بلغني أنكم قد كتبتم ، إنما أنا بشر ، من كان عنده منها شيئاً فليأت به) ، فجمعناها وأحرقت ، فقلنا يا رسول الله : نتحدث عنك ؟ قال : (حدثوا ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار) .

وفكر عمر في كتابة السُنن واستشار الصحابة ، فوافقوه ، ولكن شيئاً حاك في صدره جعله يفكر طوال شهر ، ثم خرج على الناس وقد خار الله له ، فقال : كنت قد ذكرت لكم من كتاب السُنن ما قد علمتم ، ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبًا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا ألبس بكتاب الله كتبًا .

كما جاء عن عمر أنه بلغه ما ظهر في أيدي الناس من كتب ، فاستنكرها وكرهها ، وقال : أيها الناس قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب ، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها ، فلا يبقين أحد عنده كتاب إلا أتاني به ، فأرى فيه رأيي ، فظن القوم أنه يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار ، ثم قال : أمنية كأمنية أهل الكتاب ، وفي رواية "مثناه كمثناة بني إسرائيل" .

وعن عمر أيضًا أنه أراد أن يكتب السُنة ، ثم بدا له أن لا يكتبها ، ثم كتب في الأمصار من كان عنده منها شيء فليمحه .

وجاء عن الإمام علي أنه خطب يقول : "أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاه ، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم" .

وروي عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه أنه أصاب مع علقمة صحيفة فعرضاها على ابن مسعود ليقرأها فأبى ودعا بطشت فيه ماء فجعل يمحوها بيده ويقول : "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَص" (القصص : ٣) ، فقلنا : انظر فيها فإن فيها حديثاً عجيبًا ، فجعل يمحوها ، ويقول : إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره .

كما جاء أن عبد الله بن مسعود خطب في مسجد وقد أخذ صحيفة من رجل فيها قصص وقرآن ، فقال : إن أحسن الهدي هدي محمد ، وإن أحسن الحديث كتاب الله ، وإن شر الأمور محدثاتها ، وإنكم تحدثون ويحدث لكم ، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول ، فإنما أهلك أهل الكتابين قبلكم مثل هذه الصحيفة وأشباهها ، توارثوها قرناً بعد قرن حتى جعلوا كتاب الله خلف ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، فأنشد الله رجلاً علم مكان صحيفة إلا أتاني ، فوالله لو علمتها بدير هند لانتقلت إليها .

وفي رواية أخرى أن عبد الله بن مسعود فطن إلى ابنه عبد الرحمن أنه كان يكتب الشيء الذي يسمعه ، فدعا بالكتاب وبإجانة من ماء فغسله .

وقيل إنه تعذر قوم بعدم حفظهم للحديث فطلبوا من أبي سعيد الخدري أن يكتب لهم ما حفظه ، فكان رده أن قال : لا نكتبكم ، ولا نجعلها مصاحف ، كان رسول الله ﷺ يحدثنا فنحفظ ، فاحفظوا عنا كما كنا نحفظ عن نبيكم .

وفي رواية أخرى عن أبي نضرة أنه قال : قلنا لأبي سعيد إنا اكتتبنا حديثاً من حديث رسول الله ﷺ ، قال : امحه .

روت السيدة عائشة أن أباها قد جمع الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليلته يتقلب كثيرًا ، فغمها ذلك ، وقالت له : أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك ؟ فلما أصبح قال : أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك ، فجاءته بالأحاديث ، فدعا بها فحرقها ، فقالت عائشة : لم أحرقتها ؟ قال : خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك .

وجاء أن مروان دعا زيد بن ثابت وقومًا يكتبون وهو لا يدري فأعلموه ، فقال : أتدرون لعل كل شيء حدثتكم به ليس كما حدثتكم .

وعن أبي بردة أنه قال : كتبت عن أبي كتبًا كثيرة فمحاها ، وقال : خذ عنا كما أخذنا .

وفي رواية أخرى عن أبي بردة أنه قال : كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فنقوم أنا ومولى لي فنكتبها فحدثنا يومًا بأحاديث

فقمنا لنكتبها ، فقال : أتكتبان ما سمعتما مني ؟ قالا : نعم ، قال فجيئاني به ، فدعا بماء فغسله ، وقال احفظوا كما حفظنا .

وعن أبي هريرة أنه قال : لا نكتم ولا نكتب .

وظلت كراهة التدوين سائدة حتى التابعين فجاء أن القاسم ابن محمد ومنصور بن المعتمر ومغيرة والأعمش وإبراهيم كانوا يكرهون كتابة الحديث ، وفي تعبير إبراهيم أنهم كانوا يكرهون الكتاب .

كما جاء عن الضحاك بن مزاحم أنه قال : لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف .

وعنه أيضًا أنه قال : يأتي على الناس زمان يكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بغباره لا ينظر فيه .

وعن عبيدة أنه دعا بكتبه عند موته فمحاها ، وقال : أخشى أن يليها أحد بعدي ، فيضعوها في غير مواضعها ، وما يذكر عن عبيدة أنه أوصى أن تحرق كتبه أو تمحى .

وعن إبراهيم أنه قال : كنت أكتب عند عبيدة فقال : لا تخلدن عني كتابًا .

وعن محمد بن سيرين أنه قال : قلت لعبيدة أكتب منك ما أسمع ؟ قال : لا ، قلت : وجدت كتابًا أأنظر فيه ؟ قال : لا .

وعن ابن سيرين أنه قال : إنما ضلت بنو إسرائيل بكتب ورثوها عن آبائهم .

كما جاء عن ابن سيرين أنه لم ير بأسًا إذا سمع الرجل الحديث أن يكتبه ، فإذا حفظه محاه .

وعن أبي قلابة أنه أوصى بدفع كتبه إلى أيوب إن كان حيًا أو حرقها عند موته .

وعن طاوس أنه كان يأمر بإحراق الكتب .

وعن الحسن البصري أنه أمر بحرق كتبه فأحرقت غير صحيفة واحدة .

وعن شعبة الحجاج أنه أوصى ولده سعد بأن يغسل كتبه ويدفنها من بعده ، ولما مات قام سعد بتنفيذ الوصية ، وقال سعد : كان أبي إذا اجتمعتْ عنده كتب من الناس أرسلني بها إلى البازجاه ، فأدفنها في الطين .

وعن الشعبي أنه قال : ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته ولا أحببت أن يعيده عليَّ ، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه أحد لكان به عالمًا .

وعن سفيان الثوري أنه قال : بئس مستودع العلم القراطيس .

وجاء عن خلف بن تميم أنه قال : سمعت من سفيان الثوري عشرة آلاف حديث أو نحوها فكنت أستفهم جليسي فقلت لزائدة : يا أبا الصلت إني كتبت عن سفيان الثوري عشرة آلاف حديث أو نحوًا من عشرة آلاف ، فقال : لا تحدث منها إلا بما حفظ قلبك وسمعت أذنك فألقيتها .

وعن سفيان الثوري أنه قال : قيل لعمرو إن سفيان يكتب ، فاضطجع وبكى وقال : أحرج عليّ من يكتب عني ، قال سفيان : وما كتبت عنه شيئاً ، كنا نحفظ .

وعن سعيد بن عبد العزيز أنه قال : ما كتبت حديثاً قط

وعن يحيى بن سعيد أنه قال : أدركت الناس يهابون الكتب ، ولو كنا نكتب من علم سعيد وروايته كثيرا .

وعن مسروق أنه قال لعلقمة : اكتب لي النظائر ، قال : أما علمت أن الكتاب يكره ؟ قال : بلى إنما انظر فيه ثم أمحوه ، قال : فلا بأس .

وعن خالد الحذاء أنه قال : ما كتبت شيئاً قط إلا حديثاً طويلا ، فإذا حفظته محوته .

وعن عاصم بن ضمرة أنه كان يسمع الحديث ويكتبه فإذا حفظه دعا بقراض يقرضه .

وعن عيسى بن يونس أنه قال : إني لأهم بها أن أحرقها ، يعني كتبه .

وجاء أن داود الطائي كان يدفن كتبه ، وكذا يفعل أبو أسامة وأبو إبراهيم الترجماني .

وعن إبراهيم بن هاشم أنه قال : دفنا لبشر بن الحارث ثمانية عشر ما بين قمطر وقوصرة .

وجاء أن عبيد الله بن عبد الله دخل على عمر بن عبد العزيز فأجلس قومًا يكتبون ما يقول ، فلما أراد أن يقوم قال له عمر : صنعنا شيئاً ، قال : وما هو يا ابن عبد العزيز ؟ قال : كتبنا ما قلت ، قال : وأين هو ؟ فجيء به فحرقه .

كما جاء عن أبي إدريس أنه لما علم أن ابنه يكتب ما يسمعه منه ، أمر به فحرقه .

وجاء أن ابن شهاب الزهري كان يأتي الأعرج وعنده جماعة يكتبون وهو لا يكتب ، لكنه عندما يجد الحديث طويلاً فإنه يأخذ ورقة من ورق الأعرج ، وكان الأعرج يكتب المصاحف ، فيكتب ابن شهاب ذلك الحديث في تلك القطعة ، ثم يقرأه ثم يمحو مكانه ، وربما قام بها معه ، فيقرأها ثم يمحوها .

وقال مالك بن أنس : لم يكن مع ابن شهاب الزهري إلا كتاب فيه نسب قومه ، قال ولم يكن القوم يكتبون إنما كانوا يحفظون ، فمن كتب منهم الشيء فإنما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه .

كراهة الإكثار من الرواية :

ولم يقف الأمر عند عدم التدوين ، بل امتد إلى كراهة الإكثار من الرواية ، فعن أبي بكر الصديق أنه جمع الناس بعد وفاة النبي ﷺ فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه .

كما روي عن عمر بن الخطاب أنه منع الإكثار من الرواية خشية الانشغال بغير القرآن ، أو لعلة الخوف من الكذب على النبي ، ومن ذلك أنه حبس كلاً من ابن مسعود وأبي الدرداء وأبي مسعود الأنصاري لكونهم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ ، وجاء أنه بعث إليهم فقال : ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله ﷺ ؟ فحبسهم بالمدينة حتى استشهد .

وجاء عن قرظة بن كعب أنه قال : خرجنا نريد العراق فمشي معنا عمر إلى صرار فتوضأ فغسل اثنتين ثم قال : أتدرون لمَ مشيت معكم ؟ قالوا : نعم نحن أصحاب رسول الله مشيت معنا ، فقال : إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ امضوا وأنا شريككم ، فلما قدم قرظة قالوا حدثنا ، قال : نهانا عمر بن الخطاب .

وفي رواية أنه قرأ : إنكم تأتون الكوفة فتأتون قومًا لهم أزيز ـ صوت بالبكاء ـ بالقرآن فيأتونكم فيقولون : قدم أصحاب محمد ، قدم أصحاب محمد ، فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث ، فأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ .

وفي رواية أخرى سئل أسلم مولى عمر بن الخطاب بأن يحدث عن عمر ، فقال : لا أستطيع ، أخاف أن أزيد أو أنقص ، كنا إذا قلنا لعمر حدثنا عن رسول الله ﷺ قال : أخاف أو أزيد أو أنقص إن رسول الله ﷺ قال : من كذب عليَّ متعمدًا فهو في النار .

وجاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن الزبير أنه قال لأبيه : إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان ؟ فأجاب الزبير : أما إني لم أفارقه ، ولكن سمعته يقول : (من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار).

وفي رواية أخرى قال الزبير : يا بني كان بيني وبينه من القرابة والرحم ما علمت ، وعمته أمي وزوجته خديجة عمتي وأمه آمنة بنت وهب وجدتي هالة بنت وهيب ابني وهيب عبد مناف بن زهرة ، وعندي أمك وأختها عائشة عنده ، ولكني سمعته ﷺ يقول : من كذب عليَّ .. كذا رواه البخاري ليس فيه متعمدًا .

ومثل ذلك روي عن عثمان بن عفان أنه قال : ما يمنعني أن أحدث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون أوعى صحابته عنه ، ولكن أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار .

وكذا قال عمران بن حصين : والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله ﷺ يومين متتابعين ولكن أبطأني عن ذلك أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم .

وفي صحيح مسلم قال أنس بن مالك : إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا أن رسول الله ﷺ قال : من تعمد عليَّ كذبًا فليتبوأ مقعده من النار .

وفي رواية أخرى عن أنس أنه قال : لولا أخشى أن أخطأ لحدثتكم بأشياء قالها رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار .

ومثل ذلك روي عن صهيب حيث سئل عن علة عدم تحدثه عن رسول الله ﷺ كما يحدث غيره من أصحاب النبي ﷺ ؟ فقال : أما إني قد سمعت ما سمعوا ولكن يمنعني أن أحدث عنه إني سمعته يقول ﷺ : من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار ، وكلف يوم القيامة أن يقعد بين شعرتين ، ولن يقدر على ذلك .

وجاء أنه قيل لزيد بن أرقم يا ابا عمرو ألا تحدثنا ؟ فأجاب : قد كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد .

وجاء أن عدد الذين رويت عنهم الفتيا من الصحابة هم مائة وثمانية وثلاثون من بين أكثر من عشرين ألف صحابي .

وكان كبار الصحابة يتورعون عن الحديث ويخشون أن يغلبهم النسيان أو تخونهم الذاكرة ، فلا يكاد يروى عن بعضهم كأبي عبيدة ــ وهو أمين الأمة ــ وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ــ احد العشرة المشهود لهم بالجنة ــ شيئاً .

وأخرج البخاري والدارقطني عن السائب بن يزيد قال : صحبت عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص والمقداد بن الأسود فلم أسمع الواحد منهم يحدث عن رسول الله .

كذلك عرف عن كبار الصحابة أنهم يتثبتون في النقل والرواية عن النبي ، إما بطلب شاهد آخر لمن يدعي سماعه للحديث عن النبي ﷺ أو بتحليف الراوي ، فقد جاء أن أبا بكر لا يقبل الحديث إلا من اثنين ، فإذا جاءه واحد بحديث طلب منه أن يؤيده آخر يشهد له ، ومن ذلك أنه ورد في بعض الروايات أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمسه أن تورث ، فقال : ما أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال : حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس ، فقال له : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر .

وجاء أن عمر استشار أصحابه في أملاص المرأة أو السقط ، فقال له المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قضي فيه بغرة ، فقال له عمر إن كنت صادقاً فأت أحدًا يعلم ذلك ، فشهد محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ قضي به .

وجاء عن أبي سعيد الخدري أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له فرجع ، فأرسل عمر في أثره ، فقال : لِمَ رجعت ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع ، قال : لتأتني على ذلك ببينة أو لأفعلن بك ، فجاء أبو موسى منتقعًا لونه ونحن جلوس ، فقلنا : ما شأنك ؟ فأخبرنا ، وقال : فهل سمع أحد منكم ؟ فقلنا كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره .

كما جاء عن عبد الله بن أبي بكر في رواية طويلة أن عمر بن الخطاب ردّ على أبي بن كعب فيما رواه من حديث النبي ﷺ ، وقال له : لتأتني على ما تقول ببينة ، فذكر أبي ذلك لجماعة من صحابة النبي ﷺ ، فقالوا : قد سمعنا هذا من رسول الله ﷺ ، فقال عمر : أما إني لم أتهمك ولكني أحببت أن أتثبت .

وكان الإمام عليّ لا يقبل الحديث إلا بعد استحلاف قائله ، فكان يقول : كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني ، وإذا حدثني غيره استحلفته فإذا حلف صدقته .

كما جاء عن الإمام عليّ أنه قال : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فوالله لأن أخر من السماء أحب إليَّ من أن أكذب على رسول الله ﷺ .

من هذه الشواهد المتكررة والتي تبدأ من الرسول ﷺ فالخلفاء الراشدين والصحابة فالتابعين يتأكد لدينا أن النهي عن الكتابة والأمر بالإقلال من الرواية كان هو المبدأ المقرر ، وأن السبب في هذا هو خشية إحلال السُنة محل القرآن ، وخيفة النسيان الذي يؤدي إلى نوع من الكذب غير المقصود ، ولكنه المرجح مع كثرة الرواية ، فضلاً عما يمكن أن يقحمه أعداء الإسلام من منافقين أو يهود .

المراجع :

كل الشواهد السابقة موثقة وتعود إلى المراجع التالية :

(١) تقييد العلم .
(٢) جامع بيان العلم وفضله .
(٣) الطوفي (رسالة في رعاية المصلحة) .
(٤) الذهبي (تذكرة الحفاظ) .
(٥) كتاب العلم .
(٦) صحيح مسلم .
(٧) محمد بن سعد بن منيع (الطبقات الكبرى) .
(٨) الكفاية في علم الرواية .
(٩) سؤالات أبي عبيد الأجري لأبي داود سليمان السجستاني .
(١٠) التعديل والتجريح .
(١١) مشكل الآثار .
(١٢) ابن الجوزي (الموضوعات) .
(١٣) ابن القيم الجوزية (أعلام الموقعين عن رب العالمين)
(١٤) الدهلوي (حجة الله البالغة) .
(١٥) صحيح البخاري .
(١٦) فتح الباري .
(١٧) ابن قتيبة الدينوري (تأويل مختلف الحديث) .
(١٨) أبو زهرة (تاريخ المذاهب الإسلامية) .
(١٩) ابن حزم (النبذ في أصول الفقه) .
(٢٠) شبكة المشكاة الإليكترونية .
(٢١) ومكتبة سحاب السلفية الإليكترونية .
(٢٢) ومكتبة يعسوب الدين الإليكترونية .
(٢٣) "مشكلة الحديث" للأستاذ يحيى محمد ، دار الانتشار العربي بيروت .

الفصل الثاني

التحول الإمبراطوري وانعكاساته على التحديث

حدث الاكتساح الإسلامي الذي كانت قاعدته المدينة ، والذي انطلقت منه الجيوش إلى العراق والشام ومصر ، وأسقطت الدولة الفارسية العريقة ، وزلزلت الدولة البيزنطية وأنهت حقبة طويلة من تبعية مصر لروما ، لم يكن الأمر المثير للدهشة هو السرعة العجيبة التي تم بها هذا كله في قرابة عشر سنوات ، مما لم يحدث في التاريخ بل أيضًا لأن الغزو العربي/الإسلامي تميز عن كل الاكتساحات والغزوات السابقة التي قامت في العراق أيام حمورابي ، أو مصر القديمة أيام تحتمس إلى حقبة الحضارة الرومانية وفرسانها وصفوف جيوشها المنتظمة ؛ ورايات النسر المرفوعة ، كانت الفتوحات الإسلامية/العربية فتوحات حضارية تحمل "الكتاب والميزان" كما قال القرآن ، أي المعرفة والعدل ، اتسمت برحمة غير معهودة وسماحة لم توجد من قبل ، ومحافظة على الأديار والرهبان ، ورغبة في تقبل الآخر ، كانت فتوحات للتوطن والتعايش وليست اكتساحات عسكرية تنحسر بانحسار العسكر ، وقد أعطت البلاد المفتوحة لغتها ودينها ، وأصبحت هذه البلاد أوطانها وسكنها العرب ، حتى القاصية

منها مثل أسبانيا والمغرب أو جنوب السودان ووسط أفريقيا ، كما أن البلاد المفتوحة قدمت شعوبها التي اندمجت في المجتمع الإسلامي واصطنعوا لأنفسهم علاقة ولاء بالقبائل الفاتحة ، ومن بين هؤلاء الموالي برز أغلبية الفقهاء ، وأغلبية المحدثين ، بل وحتى اللغة العربية نفسها والمفروض أن تكون الأستاذية فيها للعرب ، زحف عليها الموالي وأصبح سيد العربية غير منازع من الموالي "سيبويه" ولم يثر الدهشة أن يكون صاحب هذا الاسم الغريب هو صاحب "الكتاب" .

ويمكن القول دون مبالغة أن الفتوح العربية قامت بأعظم حركة مزاوجة في العالم ما بين الشعوب الغالبة والشعوب المغلوبة ، فبعد بداية مرحلة التصادم ، جاءت مرحلة التسالم ، ثم أعقبتهما مرحلة "التلاقح" الفكري التي قدمت الشعوب المغلوبة التي كانت أكثر حضارة ، علومها فترجمت كتب من الهند وفارس ، ثم ترجمت الفلسفة اليونانية وظهر العرب أكثر حرصًا عليها من حرص أهلها أنفسهم ، وهذه التجربة في تاريخ البشرية لم تسبق أو تلحق ، ولا يمكن أن تقارن بها محاولة التقريب التي قام بها الإسكندر ما بين اليونان وفارس ، ولا حركة التزويج ما بين يونانيين وفارسيات فإنها طويت مع النهاية السريعة للإسكندر .

ولكن هذه الصورة الفريدة من "العولمة" المبكرة تضمنت أيضًا عناصر سلبية أوهنت من "وحدة المجتمع وسمحت بدخول أجناس من كل شعوب العالم من ترك وديلم ومن فارس وإيران

وبيزنطة ومصر والهند وأفريقيا ، ولكل هذه الأجناس رواسبها وتراثها الحضاري ومللها ونحلها ، ومن يقرأ كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني يعجب مما حفل به المجتمع الإسلامي ، إن بلدة صغيرة مثل "سلمية" في سوريا كانت تضم من الملل والنحل ما يكفي لبلبلة دولة ، وأن "جبل عامل" في لبنان كان معقل الفكر الشيعي ، وأن البصرة كانت باب العراق المنفتح على الهند وفارس ، ومنها دخلت أفكار زرادشت وماني ، وكان المتنبي يجري حصانه مسافات شاسعة في صميم الوطن الإسلامي ، "ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان" ، بينما كان موسى بن ميمون يتنقل من بغداد إلى قرطبة ، فيكون مسلمًا في بغداد ويهوديًا في قرطبة ، ويكتب العبرية بحروف عربية .

كان المجتمع الإسلامي يعيش في "فوضى خلاقة" تسمح لكل صاحب فكر بجانب من الحرية بحيث يمكن أن تظهر "القدرية" جنبًا إلى جنب "الجبرية" و"المرجئة" جنبًا إلى جنب "الخوارج" ، و"الشيعة" جنبًا إلى جنب "السُنة" ، وتنبثق عن "السُنة" "المعتزلة" ، بينما يخلع شيخ المعتزلة ثوبه في المسجد ويعلن أنه "خلع" المعتزلة كما خلع ثوبه .

ووجد من النساء اللاتي :

يخبئن أطراف البنـــان من التقى

ويسعين شـــطر البيت معتمرات

كما وجدت الوقاح الصريحة :

أنا والله أصلح للمعـــــالي
وأمشي مشـيتي وأتيه تيهـا
أمكن عاشقي من لثم خـدي
وأعطي قبلتي من يشتهيها

ورمـى ابـن قتيبـة فـي كتابـه "تأويـل مختلـف الحـديث" أئمـة المعتزلة النظام وأبي هذيـل العلاف وهشـام ابن الحكم وثمامة بأشنع التهم ، مما يوحي بأن الأمر ليس أمر حريـة فكر ، ولكن تحلل من التزام ، فإن لم يكن صادقا فيما رواه ، فهذا ما يمثل شنآن العداوة بين الفرق الإسلامية ، ووسط هذا جميعًا تظهر مجموعة غامضة تحمل اسم إخوان الصفا ، وتقول : إن الشريعة دنستها الغشاوات وأفسدتها الضلالات ولا يغسلها إلا الفلسفة اليونانية التي تمثل الحكمة وتعبر عن فكرها في أربعة مجلدات كبيرة كلها نقل من الفلسفة اليونانية ، وقد تأثر الفكر الإسلامي بأفكار أرسطو "المعلم الأول" ، وتحدث ابـن رشـد عـن أفلاطـون وأرسـطو كمـا يتحـدث أشـد المعجبـين "بالمعجزة اليونانية" ، ووصل أثره إلى الفقه ، بل والتوحيد ، وقال الغزالي في كتابه "المستصفي" وهو من مراجع أصول الفقه : إن من لا يلم بالمنطق لا يوثق بعلمه أصلاً" ، وأفرد له صفحات طوال في مقدمته .

أين هذا المحيط المتلاطم الأمواج المتعدد التيارات من عالم المدينة التي كانت الأصل ؟ كانت المدينة ساذجة ، طبيعية تعيش على الفطرة وما يهدي إليه الفكر المستقيم ، وما كان هناك مشاكل ،

وقد ولي عمر القضاء لأبي بكر فظل عامًا لا يأتيه متقاض ، وكان من يقترف إثمًا يسعى بنفسه إلى الرسول ﷺ يقول : "طهرني" ، وفي مقابل هذا كان الرسول ﷺ يقول لمن جاء بزان ليوقع عليه الحد : (لو سترته بثوبك لكان خيرًا لك) ، وكان القاضي يلقن المتهم الإنكار ! بينما المتهم يصر على العقوبة .

كان التحول الإمبراطوري من التعدد والكثرة والتناقض والتعقد بحيث فرض ضروراته على المجتمع ، وكان من هذه الضرورات "وضع الحديث" .

ذلك أن هذا المجتمع رغم كل امتداداته والتواءاته وانعطافاته وانحرافاته ومذهبياته مجتمعًا إسلاميًا ، الشرعية فيه هي الشرعية الإسلامية هي شرعية القرآن ، ولما تعددت القضايا والمشكلات الناتجة من الاهتمامات المتعددة للناس كان هناك حاجة ماسة لضبطها على أساس شرعي ، والأساس الشرعي هو القرآن ، ولكن القرآن لا يعالج التفاصيل ، ولكن الكليات ، ولم يكن المناخ يسمح باستخلاص الأحكام الفروعية من القرآن نفسه ، فهذا ما تولته السُنة عندما عهد إليها ببيان ما أنزله القرآن ، ويدخل فيه تفصيل ما أجمله ، ولكن السُنة أيضًا كانت عاجزة لأنها كانت سُنة مجتمع المدينة الساذج الذي لا يعرف قضايا مجتمع العواصم الكبرى بملايينها من مختلف الجنسيات والمستويات ، فلم تسعفهم السُنة التي توارثوها عن المدينة ، ومن ثم تكاثفت الجهود لاستكشاف أحاديث تتضمن الأحكام المناسبة منسوبة إلى الرسول ﷺ ، وبهذا تكتسب الشرعية .

كـان الحـاكم فـي حاجـة إلـى تقنين الـشريعة ، واقتـرح ابن المقفع على المنصور في رسالته "الـصحابة" وضـع هذا التقنين ، وأراد أبو جعفر المنصور نفسه اتخاذ "الموطأ" قاعدة لهذا التقنين، ولكن مالك ـ صاحب الموطأ ـ رفض ، وأقنع المنصور بأن أهل كل مصر قد انتهى إليها علم فهي تحكم به فدعها ، كانت الشريعة وقتئذ حرة يقضي فيها مجتهدون أحرار ، وكان من شأن هذا أن يوجد اختلافاً ، وكـان هـذا يرضـي المجتهدين ، كمـا كـان يرضـي الجمهور ، لأن الاجتهاد مفتوح وأصحابه كثر فكان من لا يعجبه حكم مجتهد يجد ما يعجبه عند مجتهد آخر ، ولكن هذا كان ضد ما تريده الدولة التي تريد قانوناً يسري على الجميع ويريحها ، علـى أن التطور أراحها إلى حد ما فقد كان لابد "للفوضى الخلاقة" أن تنتهي إلى قرار ، وكان القرار هو إغلاق باب الاجتهاد والاكتفاء بالمذاهب الأربعة .

إن هذا لم يحل مشكلة عدم وجود أحكام فيما كـان بين النـاس مـن سُـنة ، وقـد رأينـا فـي الفصل الـسابق أن الاتجـاه المقـرر أيـام الرسول ﷺ كـان هـو عـدم كتابـة الأحاديـث والإقـلال مـن الروايـة ، وتحـريم تـدوينها ، وهكـذا أصـبحت القـضية الملحـة هـي استكـشاف الأحاديـث بـأي طريقـة وانبعـث لهـذا مجموعـة مـن العلمـاء جعلـوا مهمـتهم استكـشاف الأحاديـث والجـري وراءهـا وركـوب الـصعب والذلول ، ونجحوا بالفعل في العثور على بعض تابعي التابعين ممن حفظوا بعض الأحاديث ، ولكنها لم تكن كافية ، وفي الحقيقة أن فكرة

البحث عن أحاديث كانت غير سليمة ، فمن غير المعقول أصلاً أن الرسول ﷺ تحدث بمائة ألف حديث تعالج أحكامًا في القضايا المتعددة لهذا المجتمع "الكوزموبوليتاني" ، وأن هذه الآراء كانت مخبوءة في مكان ما مثل الموميات والآثار التي خلفها المصريون القدماء واستكشفها المستكشفون .

أمام هذه الوقائع كان الحل الوحيد هو وضع الأحاديث .

وكانت فكرة وضع الأحاديث رغم ما يبدو من بشاعتها قد مورست بالفعل من قبل مجموعة أطلق عليها "الوضاع الصالحون" ، ولم يكن في سلامة إيمانهم مطعن ، ولكنهم وجدوا أن الناس انصرفوا عن القرآن إلى فقه أبي حنيفة فوضعوا أحاديث في فضل كل سورة ، فمن حفظ سورة كذا بنى الله له بيتاً في الجنة ، ومن حفظ سورة كذا غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن قرأ سورة كذا سقطت ذنوبه وأصبح كيوم ولدته أمه .. الخ ، ولما تنبه بعض الناس إلى هذا العمل ولاموا الذين قاموا به قائلين "تكذبون على رسول الله" ردوا نحن نكذب لرسول الله ، أي لحساب رسول الله وما جاء به من الذكر المبين ، ولعلهم اعتقدوا أن هذا من الاجتهاد المباح الذي يثاب عليه .

وهذه السابقة توضح لنا كيف أن غاية تبدو حسنة تؤدي إلى وسيلة سيئة .

كان المجتمع الإمبراطوري بملايينه يحتاج إلى أحكام مقننة تحقق مقتضيات الدولة الإمبراطورية ، وكان نظام الحكم الذي فرض

ديكتاتورية سياسية ، ولا يقبل معارضة ، قد فتح الباب على مصراعيه لهذه الملل والنحل والمذاهب وكأنه رأى أنها تشغل الناس عن محاسبة الحاكم وتستهلك طاقاتهم في مجادلات نظرية ومذهبية ، وأنها تنقلهم من عالمهم السيء إلى عالم آخر تحتدم فيه الأفكار ، ولهذا فإنه تقبل الحريات المذهبية ، ولكنه في الوقت نفسه كان بحاجة إلى قوانين تخرس المعارضة باسم الدين ، وكان لابد للفقهاء أن يحققوا هذا للحاكم كائناً من كان ، وكان أتقى فقيه ، وهو الإمام أحمد بن حنبل الذي يمثل السلف الصالح يقرر ضرورة التسليم للحاكم حتى وإن كان ظالمًا ، وقد لقي على يدي المأمون والمعتصم ما أشفى به على الهلاك ، ومع هذا فإنه لم يكن يقر الثورة على الحاكم ، وكان الإمام أبو حامد الغزالي الذي لا يمكن أن تمتد إلى تقواه وورعه شائبة شك يقرر ضرورة الطاعة للمغتصب مادام قد وصل إلى الحكم بالفعل لأن الثورة عليه تؤدي إلى الفتنة الكبرى ، وتحدث في "الإحياء" بكلمات تقطر أسى عن هذه الضرورة المؤلمة ، فإذا كان الأئمة من مثل الإمام أحمد بن حنبل والإمام الغزالي رضخوا أمام ظلم الحكام ، فهل يعسر على فقهاء السلطان أن يضعوا أحاديث تقرر طاعته وتعطيها الصفة الشرعية من نوع "أطع الأمير وإن غصب مالك وضرب ظهرك" ، كما لم يكن عسيرًا أن يقرروا حد الردة لا ليطبقوه على المرتد ، فهذا ترف فكري ، ولكن على كل من "جحد معلومًا من الدين بالضرورة" ، فهنا يمكن أن تجد مائة تهمة تضعها تحت مفهوم "المعلوم من الدين بالضرورة" بما في ذلك الثورة على الحاكم باعتبار أن القرآن يقرر

"أطِيعُوا اللَّـهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمْرِ مِنكُمْ" ، فأي مخالفة للحاكم تعد جحدًا لما جاء به القرآن .

لا يمكن فهم نشوء وتضخم ظاهرة الوضع إلا عندما نتفهم حالة المجتمع الإسلامي من كافة جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، إلا عندما نتعرف على عوامل كانت تدفع هذه الظاهرة دفعًا ، وتجعل لها ضرورة التعرف على قانون العرض والطلب أو بتعبير أدق الطلب والعرض بمعنى أنه عندما توجد حاجة إلى أمر ما بحكم الأوضاع والملابسات والعوامل العديدة التي تتضافر لذلك ، فلابد أن تظهر الوسيلة التي تحقق هذا ، وإذا كان الأثر يقول "لكل ساقطة لاقطة" فقد يكون الأدعى أن وجود "لاقطة" لابد وأن يؤدي إلى ظهور الساقطة ، وقد ترى مصداقية ذلك في تضمين الأفلام السينمائية لبعض مناظر الرقص أو العري ، فإذا سألت مخرجيها ومنتجيها قالوا : "الناس عاوزة كده" ، أو أن يكون ظهور راقصة ذائعة أو مهرج مشهور في أحد الأفلام سببًا في التهافت عليه ، ويتم هذا بطريقة تلقائية لأن الضرورات ما أن تدخل من الباب حتى تخرج القيم من الشباك ، وكما يقول الحديث : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) إن إيمانه تبخر بتأثير الشهوة الجامحة ، ومن ثم يقوم بها ، وقد يندم بعدها إذا كانت هذه الضرورة عابرة ، أما إذا كانت دائمة فيمكن في هذه الحالة أن يوجدا معًا الشهوة والإيمان على ما في ذلك من تناقض ويمارسان بالتبادل ، للإيمان وقته وللشهوة وقتها طبقًا لمذهبهم ، وقد يتبجح بعض

أصحاب ذلك أن هذا هو ما يحدث في الزواج ، وفي غيبة التقوى توضع الأحاديث بكل قوة ، ودون تردد بأحكام وتقنية لتحقق الهدف المطلوب ، فإذا كان المطلوب مثلاً إرهاف حاسة التقوى وردع الناس عن ارتكاب الذنوب فإن أفضل المداخل لذلك وضع أحاديث تبدأ بعذاب القبر وأخوف ما تخافه هو النار وتنتهي بعذاب النار ، ذلك لأن الناس أخشى ما تخشاه هو "الموت" ، فإذا اقترن الموت بعذاب فإن هذا يبلغ بالأثر إلى أقصى مداه ويحقق المطلوب منه وهو الردع ، والمفارقة أن هذا الوضع لا يبدو لأصحابه جريمة ولكن فضيلة ، لأن الوسيلة وإن كانت وبيلة ، فإن الغاية وهي إرهاف الحاسة الإيمانية نبيلة ، وبالطبع يفوتهم أن النبل لا يمكن أن يؤتى بالإرهاب والتخويف .

وانظر إلى براعة الإخراج وقد صور للميت شجاعًا أقرع يضربه ضربة يسمعها كل الثقلين إلا الإنسان ! أو كيف يضغط القبر على شاغله ضغطة يتحول بها جنبه الأيمن إلى الأيسر والأيسر إلى الأيمن .. الخ ، هذا أقرب إلى الإخراج الفني من الرواية النبوية .

* * *

مناخ الاستحلال :

أشرنا فيما سبق إشارات عامة إلى العوامل التي جعلت وضع الحديث ضرورة ، وجرأت الناس على وضعه ، ولكن يبدو أن هذه النقطة بالذات تحتاج إلى تجلية أكثر ، لأن القارئ العادي

الذي تربى على تقديس السلف يصعب عليه أن يسلم بوقوع هذا الوضع الوباني الذي انزلقت إليه قبيلة "حدثنا" ، ولا يمكن أن يقتنع إلا عندما نقدم إليه الظروف والملابسات التي عمقت فكرة "الاستحلال" ، وبالتالي مهدت السبيل لظهور ألف ألف ، أي مليون حديث كان يلم بها أحمد بن حنبل .

يجب أن نعلم أن الكيد للإسلام قد ظهر مع الأيام الأولى لإعلان الرسول ـ ﷺ ـ دعوة الإسلام ، وبدأ هذا الكيد باضطهاد فقراء ومستضعفي المسلمين اضطهادًا مروعًا أدى إلى استشهاد أبي عمار بن ياسر وأمه ، ودفع المسلمين لأن يهاجروا إلى الحبشة مرتين ، وظل لمدة ١٣ عامًا وختم بمؤامرة محكمة على الرسول ـ ﷺ ـ اشترك فيها شاب من كل قبيلة أعطوه سيفًا حتى يضيع دمه بين القبائل ، وعندما أفلت الرسول وهاجر إلى المدينة ظهر في المدينة فئتان ناصبا الإسلام العداء ، الأولى فئة من المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ـ زعيم الخزرج ـ الذي كانوا يعدون له التاج ليولوه ملكًا للعرب عندما جاء الرسول ـ ﷺ ـ فانهار مشروعهم واضطغنوا هؤلاء المنافقين ضطغنًا داميًا للرسول ـ ﷺ ـ الذي حرمهم الثمرة عندما حانت ساعتها واستهدفوا أن يلغوا في القرآن "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ" (فصلت : ٢٦) ، ولكنهم عجزوا عن ذلك ، لأن القرآن محفوظ في الصدور ، مثبت على كل ما يمكن الكتابة عليه من ورق أو جلد أو عظم .. الخ ، ولأن أي لغو

في القران سيتضح إذ يرفضه الإعجاز اللغوي ، ولهذا عمدوا إلى وسيلة بديلة هي وضع احاديث ملفقة عن سور مفتقدة ، وايات ضائعة وإضافات في السياق ، وأنا أزعم أن شيئاً من هذا قد حدث في عهد الرسول ـ ﷺ ـ ، ولكن لم يعلن إلا بعد ذلك ، كما كان من شأنهم أن يدينوا الإسلام صبحًا ويعلنون الردة عنه مساء "وقالتْ طائفة منْ أهْل الكتاب امنُوا بالذي أُنْزل على الذين امنُوا وجْه النهار واكْفُرُوا اخرهُ لعلّهُمْ يرْجعُونَ" (آل عمران : ٧٢) ، وكان عميد المنافقين هو عبد الله بن أبي ، وهو الذي قال "لئنْ رجعْنَا إلى المدينة ليُخْرجَنَّ الأعَزُّ منْهَا الأذلَّ" (المنافقون : ٨) ، وهو الذي أشاع شائعة الإفك التي نسبوها للسيدة عائشة ، ولو قلنا إنه وشيعته وضعوا تلك الأحاديث التي تنتقص من القرآن ، ووضعوا لها سندًا يرقى إلى عائشة أو عبد الله بن عمر .. الخ ، ولم يعلنوها إلا عندما احتدمت الضغينة بين المسلمين واختلط الحابل بالنابل ، فاظهروها على حياء حتى جاء الوقت الذي استكشفها المحدثون واعتمدوها وضموها إلى ما جمعوه ، ولم يثر ما فيها من نكر حاستهم الإيمانية التي كانت قد تبلدت لكثرة ما عراها من صدا وانحراف .

والفئة الثانية من الذين أرادوا الكيد للإسلام هم اليهود الدين تمنوا أن لا يظهر رسول عظيم في غير سلالة إسرائيل ، ومع أن القران الكريم تحدث عنهم واعترف بسبقهم ، وأن الرسول ضم اليهود المتحالفين مع الأنصار والمهاجرين في "أمة واحدة

للمسلمين دينهم ولليهود دينهم" ، فقد غلبت عليهم شقوتهم ودأبوا على الكيد للإسلام والتآمر مع وثني قريش وزعموا لهم أن دينهم أفضل من الإسلام وتعاونوا مع المشركين في حرب المسلمين حتى قضي عليهم الإسلام في بني قريظة وخيبر .

وكان أثر اليهود في "دس" أقاويل وأحاديث والتأثير على ما جاء به الإسلام قويًا وصريحًا في حالات كثيرة ، كما في محاولتهم التأثير على عمر بن الخطاب ، إذ دفع أحد من بني قريظة بصحيفة يقرأها .

ولدينا روايتان عن هذه الواقعة تضمنهما مسند الإمام أحمد بن حنبل :

الأولى : عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبى ﷺ فغضب فقال : أمتهوكون فيها يا بن الخطاب ؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به ، والذى نفسى بيده لو أن موسى حيًا ما وسعه إلا أن يتبعنى .

والثانية : عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى النبى ﷺ ، فقال يا رسول الله إنى مررت بأخ لى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك ؟ قال فتغير وجه رسول الله . قال عبد الله فقلت له ألا ترى ما بوجه

رسول الله ﷺ ، فقال عمر رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا ، قال فسُرى عن النبى ﷺ ، ثم قال والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم إنكم حظى من الأمم وأنا حظكم من النبيين[1] .

وفى موقعة اليرموك ضم المحدث الدقيق والذى يعد من أوثق الرواة فى الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص حمل زاملتين (ناقتين) من أحاديث أهل الكتاب ، ولسنا نعلم على وجه التحقيق هل اختلطت هذه الأحاديث بأحاديث صحيفته القديمة التى كان يسميها الصادقة أم لا .. ولكن السيدة عائشة عندما علمت بذلك تطرق إليها الشك ، ولم تعد تأخذ حديثه مأخذ التسليم .

ونحن لا نعلم كم سيدة من بني قريظة سبيت ودخلت البيت المسلم ، وما أحدثت فيه من تخريب ، ولا كم فتى لم يقتل لأنه لم يكن قد بلغ الحلم عاش بين المسلمين ، والله أعلم بما أحدثه ، إن آثار ذلك هي مما لا يدونه التاريخ ، ولكن يكون له مع هذا أثر كبير .

إن حركة الردة التي أعقبت وفاة الرسول ﷺ والتي كادت أن تشمل كل العرب ـ باستثناء المدينة ومكة ـ دلت على أن هؤلاء الأعراب ما دخلوا الإسلام إلا رهبًا ورغبًا وليس إيمانًا وتسليمًا ، وأنه ما أن توفى الرسول ﷺ حتى أرادوا أن يعودوا إلى أعرافهم

(١) الفتح الربانى فى ترتيب مسند الإمام احمد بن حنبل الشيبانى للشيخ البنا ، ص ١٧٥ ، ج١ .

القبلية متحررين من الالتزام بدولة الخلافة ، ولولا حزم أبي بكر لما عادوا ، ولما توطد الإسلام في موطنه .

ولم يكد عمر يطعن ـ وطعنه في حد ذاته ينم عن مؤامرة فارسية ـ حتى بدأ الوهن وحدثت تلك الحوادث المأساوية وانشقاق مجموعات إسلامية وثورتهم على الخليفة عثمان وحضورهم إلى المدينة ومحاصرتهم عثمان حتى حالوا دون وصول الماء إليه ، ثم هجومهم عليه وقتله وهو يقرأ في مصحفه وزوجته تذب عنه حتى أطارت السيوف بنانها ، إن هذا لابد أن ينم عن فساد دخل الجماعات ودفعها دفعًا إلى تلك الأعمال المنكرة التي ما كان الإسلام يقبل أن تمارس مع يهودي أو نصراني ، ناهيك بخليفة المسلمين ، وصهر الرسول ﷺ .

وتكررت المأساة مع تولي علي وهو ابن عم الرسول وزوج ابنته ووالد الحسن والحسين وهو فارس الإسلام وفقيهه ، إذ ثار عليه فريق من جيشه وأرادوه على أن يرضى بالتحكيم وأن يختار أبو موسى الأشعري حكمًا ، ثم شعروا بخطئهم فاعتزلوا الجيش ونزلوا في حروراء وسيوفهم على عواتقهم ثم شعروا بخطئهم ، ولما اعتزم علي أن يرسل أبا موسى الأشعري للتحكيم جاءه اثنان من الخوارج ، فقالا : "تب عن خطيئتك" ، وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم ، فقال : قد كتبنا بيننا وبينهم كتابًا وعاهدناهم ، فقال أحدهما : ذلك ذنب ينبغي التوبة عنه ، فقال عليّ ليس بذنب ، ولكنه عجز في الرأي وقد نهيتكم ، فقال الثاني :

لـئن لـم تـدع تحكيم الرجـال لأقاتلنـك أطلـب بـذلك رحمـة الله ورضوانه ، فقال لـه علـيّ تبًـا لـك مـا أشـقاك كـأني بك قتيلاً تـسفي عليك الريح ، فقال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له عليّ : إنك لو كنت محقاً كـان فـي المـوت تعزيـة عـن الـدينا ، ولكن الشيطان قد استهواكم ، فخرجا يتناديـان "لا حكـم إلا لله" ، فقـال علـيّ : "كلمـة حق أريد بها باطل" .

نـاهيك عن الوقائع المروعة ، عندما حارب نصف المسلمين نصفهم الأخر في "صفين" ، وعندما برزت عائشة في هودجها لتصبح غرضًا تصوب السهام إليـه ، فهل هنـاك انتهـاك للحرمـات أعظـم مـن هـذا ، وأي حرمـة أعظـم مـن حرمـة أم المؤمنين ، وأي حرمـة أعظـم مـن علـي بـن أبـي طـالـب ، كيـف توجـه الـسهام إلـى عائـشة ، وكيـف يجابـه علـي بـن أبـي طـالـب بهـذه المعارضـة "المبدئيـة" لـولا أن الأمـور قـد التبست تمامًا علـى أصـحابها حتـى أصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفاً .

لقد وصل الهوان درجة جعلت واصل بن عطـاء يـرفض شهادة أحد الذين كانوا فـي جيش معاوية أو جيش علـي علـى باقـة بقل ، لأنه يعلم أن أحد الجيشين مخطـئ ، ولكن لا يقطـع بأيهمـا ، ومن ثم رفض شهادة أي منهما .

وختمت هذه الصفحة المروعة بمـا أثبت أن المحرمـات قد زالت تمامًا عندما أطلق على عهد "الملك العضوض" عام "السُنة والجماعة" !!

فانظر إلى قلب المفاهيم إلى أي حد وصل .

بدأ معاوية عمله بأن أمر بسب علي على المنابر ، وهذه سابقة لم تعهد ، ولم يكن لها أي داعي ، وهي تدل تمامًا على أن ما عرف به معاوية من حلم وكياسة زالا تمامًا أمام هيمنة السلطة ، كما أن استمرار ذلك حتى عهد عمر بن عبد العزيز يدل على استخذاء الأمة .

إن هذه السُنة القبيحة قدمت بعض أفراد قبيلة "حدثنا" مثل حريز بن عثمان (المتوفى ١٦٣ هـ) ، رأس النواصب الحريزية ، فقد جاء في (تهذيب التهذيب) : عن إسماعيل بن عياش قال : كان حريز يسب عليًا ويلعنه !! وقيل ليحيى بن صالح : لِم لم تكتب عن حريز ؟ فقال : كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن عليًا سبعين مرة !! وفي (تاريخ بغداد) ، و (تهذيب الكمال) عن جرير أن حريزًا كان يشتم عليًا على المنابر ، ومع ذلك قال ابن عدي : حريز من الأثبات في الشاميين ، ووثقه القطان وابن معين ، وقال الذهبي في (الميزان) كان متقنًا ثبتًا ، وحكى عن معاذ بن معاذ أنه قال : لا أعلم أني رأيت شاميًا أفضل منه ! وعن أبي داود : سألت أحمد عنه ، فقال : ثقة ثقة ثقة ، وعن أبي حاتم : لا أعلم بالشام أثبت منه !! واعتمد روايته أصحاب الصحاح الستة عدا مسلم ، أما البخاري فروى عنه في (صحيحه) حديثين .

وكذلك يسار بن سبع أبو الغادية الجهني ، اتفق المحدثون على أنه الذي باشر قتل الصحابي الجليل (عمار بن ياسر) ﷺ ، قال ابن حجر في (تعجيل المنفعة) : "كان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول : قاتل عمار بالباب ، يتبجح بذلك" ، ومع ذلك جعله أحمد بن حنبل في مسنده من أصحاب المسانيد من الصحابة وروى عنه عدة روايات ، روى له البغوي ، وأدخله ابن حبان في الثقات ، وبجله الذهبي في (سير أعلام النبلاء) .

وبسر بن أرطأة ، قاتل المسلمين بأمر معاوية في اليمن وغيرها والمشهور بذبح طفلي عبيد الله بن العباس في أحد مساجد صنعاء مما أصاب أمهما بالجنون ، ومع ذلك اعتبره في الصحابة كل من أحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وأبي داود وابن حبان والدارمي ، وبالتالي اعتمدوا روايته في كتبهم ولم يترددوا في الترضية عنه .

* * *

ولا يقل سوءًا أن معاوية أدخل في الخلافة مبدأ الوراثة الذي دمرها من الداخل ، ومن سوء حظه أن ابنه يزيد كان آخر واحد يصلح ليكون خليفة ، وكانت توليته هي أول ضربة في بناء الخلافة الأموية ، خاصة وأنه جاء بطاغية ولاه رقاب الناس هو زياد بن أبيه الذي أعلن مانيفستو الإرهاب :

- "حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا وإحراقًا" .

- ".. وأنى أقسم بالله لأخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصى والصحيح منكم بالسقيم حتى يلقى منكم الرجل أخاه فيقول : "أنج سعد .. فقد هلك سعيد" .
- ".. إياى ودلج الليل ، فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه" .
- أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم زاده نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة .

"وأيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى" .

وهلك زياد ، ولكن خلف ابناً "عبيد الله" لا يقل سوءًا ولا شرًا ولا إقدامًا على انتهاك الحرمات ، وحسبنا مأساة كربلاء التي رأس جيشها عمر بن سعد بن أبي وقاص وأبوه هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومن خيرة الصحابة فما أسمى الأب وما أسفل الابن ، هذه الحرب التي أريد بها إبادة النسل النبوي ، وقيل إن عمر بن سعد أمر أن تطأ الخيل أجساد القتلى ، وأن استبعد بن كثير ذلك ، ولم تبق كربلاء من نسل الحسين إلا على الصغير والمريض الذى لم يكن قد بلغ الحلم ، واحتضنته أخته زينب ودافعت عنه بينما كان عبيد الله بن زياد يقول : "دعونى أقتله ،

فإنه بقية هذا النسل ، فأحسم به هذا القرن ، وأميت به هذا الداء وأقطع به هذه المادة" ، وعليٌ هذا هو عليّ زين العابدين التي منه اتصل النسل النبوي .

ويحمل رأس الحسين شقي من أتباع الحاكم وهو يقول :

املأ وطابي فضة وذهبًا   قتلت خير الناس أمًا وأبًا

فهذا التعس تملكه حب المال وسيطر عليه حتى ليعترف أنه قتل خير الناس أمًا وأبًا .

وتصور كيف حارب مسلم بن عقبة المري قائد الجيش الأموي أهل المدينة ـ الأنصار ـ الذين أووا ونصروا وآثروا على أنفسهم ومكنوا للإسلام عندما تنكرت له وتآمرت عليه عليه قريش ، لقد أعمل السيوف قتلاً وأباحها ثلاثة أيام انتهكت كل الحرمات ثم أجبر من بقي على أن يبايع على أنهم "خول يزيد" ، وكان سر هذه العداوة المحتدمة أن الأنصار هم الذين هزموا قريش في بدر وقتلوا عظماء أمية .

هل هناك استحلال للمحرمات أسوأ وأفظع من هذا ؟

وهلك يزيد وهلك جباره الأول ثم جباره الثاني ابن الجبار الأول ، وجاء عبد الملك بن مروان الذي قال : من قال لي اتقي الله قطعت عنقه .

جاء عبد الملك بجباره الحجاج بن يوسف الذي ألقى خطبته التي لا تقل عن خطبة زياد :

إني لأرى رؤوسنا قد أينعت وحان قطافها وأني لصاحبها

وقضى على ملك بني أمية ظلمها وجبروتها ، وظهرت الخلافة العباسية التي تسترت وراء "الرضا من آل محمد" ، ولكن وصية إبراهيم الإمام (أي إمام هذا) لأبي مسلم : "أنت منا رجل من أهل البيت احفظ وصيتي ، أنظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم وأسكن بين أظهرهم ، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم واتهم ربيعة في أمرهم ، وأما مضر فأنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت فيه ، وأن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فأفعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله" .

وعمل أبو مسلم بهذه الوصية ويقال أنه قتل ستمائة ألف" .

لعلنا قد قدمنا صورة للمجتمع الإسلامي فترة تحوله الإمبراطوري وما كان يعج ويطفح به من ملل ونحل وتيارات ومذاهب وجبروت في الحكم قهر الإرادات وأذل النفوس وأبعدها عن التمسك بالحق وهيئاتها لكي تصانع المجتمع وتعايشه وتسلك مسالك الاستحلال والنفاق والاستخذاء .. الخ .

* * *

من العوامل التي تواءمت مع مناخ الاتحلال أن قبيلة "حدثنا" جعلت التجميع هدفها الحاكم وهو القاسم المشترك الأعظم لها ، فكلهم "جماعون" هدفهم الأول هو "التجميع" وبالطبع ففي هذا الهدف يكون من يجمع أكثر أفضل ممن يجمع أقل .

من شأن هذا الهدف أن يفرض على أصحابه خلائق وطبيعة تتواءم مع الهدف من ناحية قدر ما تتواءم مع مناخ الاستحلال ، لأننا إذا استهدفنا الكم فلابد أن نتسامح في "النوعية" ، وإلا فما الذي يجعل أبي هريرة ــ وهو راوية الإسلام كما يقولون ــ يستمع إلى كعب الأحبار ويضع كلامه في حديثه ؟ وما الذي يدفع عبد الله بن عمرو بن العاص وهو صاحب صحيفته التي كان يسميها "الصادقة" لأن يعود من حرب اليرموك بملء زاملتين (ناقتين) من حديث أهل الكتاب .

* * *

من ترخص إلى ترخص :

بدأت الرحلة التي انتهت بوضع الحديث بمرحلة متسارعة من الترخصات ، كل ترخص كان يسلم لآخر حتى انتهى إلى الوضع الصريح .

فمع أن الفقهاء قرروا أن مرتبة العلم اليقيني والضروري والقطعي هو ما جاءت به نصوص القرآن والمتواتر من الحديث والحكم العقلي الذي يدخل في إطار المسلمات مثل الثلاثة أكثر من الاثنين والاثنين نصف الأربعة ، إلا أنهم عادوا فقرروا أن هناك علمًا بغلبة الظن أو رجحان صدق القضية ووقع ذلك في القلب موقع القبول وذلك في كل قضية دل دليل صحيح على قبولها ، ولكن بقي احتمال ضئيل لعدم الثبوت ، ولكنه فيما رأى المحدثون لا يمنع القبول .

وواضح التنازل فإن الظن بأسره مما لا يمكن أن يبنى عن قواعد ومبادئ وأحكام يفترض أن تتطلب يقيناً ، وقد استخدم القرآن ظن ومشتقاتها بمعنى يغلب عليه الظن الباطل :

- "وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا" (الجن : ١٢) .
- "وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ" (القصص : ٣٩) .
- "وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ" (الجاثية : ٣٣) .
- "وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يتبعُون إِلاَّ الظَّنَّ وإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ" (الأنعام ١١٦) .
- "وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ" (يونس : ٣٦) .
- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ" (الحجرات : ١٢) .
- "وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا" (النجم : ٢٨) .

إن هذه الإشارات القرآنية ــ وهي قليل من كثير ــ كان من شأنها أن تحيك في صدور الذين قضوا بالصحة واليقين "بغلبة

الظن" ، ولكن الشقة بينهم وبين القرآن كانت قد بعدت فوهن أثرها على حين تحكمت فيهم وهيمنت عليهم إرادة "حدثنا" .

واشترطوا في الحديث الصحيح أن يأتي من روايتين عن ثقة في دينه ، معروفا بالصدق في حديثه ، عاقلاً لما يحدث ، عالما بما يحيل معاني الحديث ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه إلى آخر ما اشترطه الإمام الشافعي في الرسالة ، وكذلك الشروط الثمانية التي اشترطها الإمام أبو حنيفة في الحديث الصحيح .

ومع أن الحديث الصحيح حتى لو اتبع معايير الشافعي وشروط أبي حنيفة لا يعد صحيحًا إلا بمعنى غلبة الظن ، لأنه ليس قرآنا ولا حديثًا متواترًا ، فإنهم ذهبوا إلى أن كل حديث أحادي صحيح تلقته الأمة بالقبول من غير نكير منها أو طعن فيه ، فإنه يفيد العلم واليقين سواء كان في الصحيحين أو في غيرهما ، وطبقًا لهذا فإن كل ما جاء عن نسخ القرآن أو إخبار بالمغيبات يجب الالتزام به ــ علمًا وعملاً ــ بدعوى أن "الأمة تلقته بالقبول من غير نكير منها ، ولا طعن فيه" وإنكار ــ أبو مسلم الأصفهاني للنسخ اعتبر خروجًا وشذوذًا ــ وبالتالي فإن تحفظ هذا "الواحد على الذي تلقته الأمة بالقبول .. الخ" ، يرفض ولا يعتد به .

كما أنهم أخذوا يتحايلون على شروط الصحيح بالتسامح بالنسبة للراوي كان يكون مستورًا وكان الحديث مرسلاً ، وهل

اجتمعت فيه كل هذه الشروط أو انتفى بعضها ، وقد جاء في البخاري ومسلم أحاديث جماعة من الضعفاء ، وارتأى بعض العلماء أنه لا عيب في ذلك .

أما الحديث الحسن فهو الذي يختل فيه شرط الصحيح اختلالا يسيرا لا يضر ، فهو وإن كان دون الصحيح فهو كالصحيح في جواز الاحتجاج به ، وإذا تعددت طرق الحديث الحسن فإنه يرتقي الى درجة الصحيح ، ولكنه يسمى في هذه الحالة الصحيح لغيره .

وقال النووي في مقدمته على صحيح مسلم : "والحسن ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وعليه مدار أكثر الحديث وهو الذي يقبله أكثر العلماء وتستعمله عامة الفقهاء" .

فنحن نرى هنا أن الحديث الحسن ألحق بالصحيح ولا يغير هذه الحقيقة أن يكون "صحيحًا لغيره" وبهذا أصبح كما قال النووي "عليه مدار أكثر الحديث" .

أما الضعيف فهو كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات الحديث الحسن ، كما قال النووي وابن الصلاح أو هو ما نقص عن درجة الحسن كما قال ابن دقيق العيد "إلا أن الأمر ليس بهذه البساطة فقد أوصل أنواع الضعف ابن حبان إلى تسعة وأربعين نوعًا وبلغ العراقي في شرح الألفية إلى اثنتين ومائة" .

وقال الفقهاء إن الحديث الضعيف نوعان : ضعيف متروك وضعيف ليس بمتروك، وهذا الأخير هو الذي عناه ابن تيمية وهو الذي قال عنه بعض العلماء "الحديث الضعيف أحب إلي من القياس" .

ودافع بعض المحدثين عن أحاديث ضعيفة وأثبتوا الطرق التي ترفعها إلى درجة الحسن أو حتى الصحيح ، قال المحدث الشعراني تلميذ الحافظ السيوطي في الميزان : "وقد احتج جمهور المحدثين بالحديث الضعيف إذا كثرت طرقه وألحقوه بالصحيح تارة ، والحسن تارة أخرى" .

وهذا النوع من الضعيف يوجد كثيرًا في كتاب (السنن الكبرى) للبيهقي ، التي ألفها بقصد الاحتجاج لأقوال الأئمة وأقوال أصحابهم ، فإنه إذا لم يجد حديثًا صحيحًا أو حسنًا يستدل به لقول ذلك الإمام أو قول أحد مقلديه يروى الحديث الضعيف من كذا وكذا طريقًا ، ويكتفي بذلك ويقول : "وهذه الطرق يقوي بعضها بعضًا" .

ويقول الإمام النووي في بعض الأحاديث : "وهذه وإن كانت أسانيد مفرداتها ضعيفة ، فمجموعها يقوي بعضها بعضًا ، ويصير الحديث حسنًا ويحتج به" .

وفي عون الباري نقلا عن النووي أنه قال : "الحديث الضعيف عند تعدد الطرق يرتقي عن الضعف إلى الحسن ويصير مقبولاً معمولاً به" .

ونقل أبو عبد الله بن منده عن أبي داود ـ صاحب السنن ـ أنه يخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره ، وأنه أقوى عنده من رأي الرجال" .

* * *

وكأن هذا لم يكن كافيًا ، إذ ارتأى العلماء عدم قصر الحديث على ما نسب إلى النبي ﷺ ، ولكن أيضًا ما نسب إلى الصحابي والتابعي ، واعتبروا أن ما نسب إلى الرسول مرفوع ، وما نسب إلى الصحابي موقوف ، وما نسب إلى التابعي مقطوع .

وقال النووي : إن الأثر يطلق على المروي مطلقاً ، سواء كان عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي .

كما ذهبوا إلى أن السنة عند المحدثين هي بمعنى الحديث والخبر والأثر على رأي الجمهور ، كما تطلق على سُنة الخلفاء الراشدين ، كما تطلق على أعم من ذلك عند التقييد .

وارتأى المحدثون الأخذ بفتوى الصحابي .

قال الحافظ بن حجر ـ رحمه الله ـ : "الخبر عند علماء هذا الفن مرادف للحديث" .

وقال الحافظ السيوطي عقبه : "فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع" .

- فالمرفوع : ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف .

- والموقوف : ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل أو تقرير .
- والمقطوع : ما أضيف إلى التابعي من قول أو فعل .

وقال الإمام عبد الحي اللكنوي : "والتحقيق عند أرباب هذا الفن أن الخبر مرادف للحديث" .

وقال العلامة محمد السماحي : "مذهب الجمهور أن الخبر والحديث متساويان تعريفاً فيعمان ، ما أضيف إلى النبي ﷺ وما أضيف للصحابة والتابعين" .

وقد ذكر الإمام النووي في التقريب في النوع السابع من أنواع علوم الحديث أن المحدثين يسمون المرفوع والموقوف بالأثر .

وذكر شيخ الإسلام ابن حجر في شرح النخبة : "أن أهل الحديث يطلقون الأثر على الموقوف والمقطوع أيضًا .

وقد قال الإمام النووي عند شرحه لقول الإمام مسلم في مقدمة صحيحه : "ودلت السُنة على نفي رواية المنكر من الأخبار كنحو دلالة القرآن على نفي خبر الفاسق وهو الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ : (من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) ما نصه" .

أما قوله : "الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ فهو جار على المذهب المختار الذي قال المحدثون وغيرهم واصطلح عليه

السلف وجماهير الخلفاء وهو أن الأثر يطلق على المروي مطلقاً سواء كان عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي" .

وقال الإمام اللكنوي : "أما الأثر فهو لغة البقية في الشيء ، يقال أثر الدار لما بقي منها . واصطلاحًا ، هو المروي عن رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم أو عن صحابي أو عن تابعي مطلقاً ، وبالجملة مرفوعًا كان أو موقوفاً عليه جمهور المحدثين من السلف والخلف ، وهو المختار عند الجمهور كما ذكره النووي في شرح صحيح مسلم : "وبهذا المعنى سمي الحافظ الطحاوي كتابه "بشرح معاني الآثار" مع أنه شرح فيه الأحاديث المرفوعة أيضًا .

وللطبري كتاب سماه "تهذيب الآثار" مع أنه مخصوص بالمرفوع وما ذكر من الموقوف فبطريق التطفل والتبع ، ومنه قولهم "الأدعية المأثورة" لما جاء عن رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم" انتهي .

والخلاصة أن الحديث في مصطلح الجمهور كما قال العلامة السماحي هو : "ما أضيف للنبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية ، وكذا ما أضيف إلى الصحابة والتابعين" انتهى (الاقتباس من أسباب اختلاف المحدثين)[1] .

---

(١) أسباب اختلاف المحدثين للأستاذ خلدون الأحدب ، ص (٢١ ـ ٢٣) الجزء الأول بتصرف ، نشر الدار السعودية ، جدة .

وهناك مجالات أخرى للترخص تقبلها المحدثون كالإرسال والتدليس ، فيروي التابعي مثلاً حديثاً عن رسول الله ﷺ دون وصله بالصحابي الذي روى عن الرسول ، أو يروي الصحابي حديثا لم يسمعه هو بالذات عن الرسول ولكنه سمعه من صحابي آخر عن الرسول ، وهذا النوع من الإرسال هو ما سنعالجه هنا ، لأن المحدثين وإن اختلفوا في قبول المرسل إلا أنهم تقبلوا ــ فيما يشبه الإجماع ــ مرسل الصحابة .

وقد يهون أمر الإرسال إذا علمنا أن اتصال الرواة في الفترة ما قبل التدوين هومما لم يكن موضوعًا لتحقيق وكل ما أمكن التثبت منه هو ما بين راوي كالبخاري وشيخه كالحميدي ، أما هل كان هناك اتصال ما بين الرواه واحدًا مع الآخر بعد الحميدي حتى الراوي عن الرسول فليس هناك توثيق ، وكان على المتأخرين أن يفترضوه افتراضًا ما لم يكن هناك دليل على عدم الصلة بين راويين كموت أحدهما قبل ولادة الثاني .

وعلى هذا فقد تكون معظم الأحاديث التي وصلتنا مرسلة دون أن نعلم .

وليس الخطأ في الإرسال الكذب ــ كما توهم المحدثون ــ فإن مظنة الكذب مستبعدة عن الصحابة ، ولكن نقل الحديث من سامع إلى راو ومن راو إلى سامع خاصة عندما تتكرر العدنية ، وقد تكررت بالطبع قبل التدوين عدة مرات لابد وأن يؤدي إلى

نوع من التحريف قد يغير المعنى المقصود نتيجة لسوء السمع أو سوء الفهم خاصة مع جواز ـ أو قل حتمية ـ الرواية بالمعنى .

أما التدليس فهو كما يرى البزار على قسمين :

(١) تدليس الإسناد .   (٢) تدليس الشيوخ .

والأول هو أن يروى عمن سمع منه ما لم يسمعه منه من غير أن يذكر أنه سمعه منه أو كما يعرفه ابن الصلاح : "هو أن يروى عمن لقيه ما لم يسمعه منه موهمًا أنه سمعه منه أو عمن عاصره ولم يلقه موهمًا أنه قد لقيه وسمع منه" .

واعتبر البعض أن حديث الرجل عمن لم يدركه ، مثل مالك ابن أنس عن سعيد بن المسيب ، وسفيان الثوري عن إبراهيم النخعي وما أشبه هذا أنه تدليس .

ويقول مؤلف "أسباب اختلاف المحدثين" : وهذا القول هو أوسع الأقوال ، والقول به يترتب عليه أمر خطير وهو أن أحدًا من العلماء لم يسلم من التدليس في قديم العصر ولا حديثه ، اللهم إلا شعبة بن الحجاج ويحيى بن سعيد القطان ، فإن هذين لم يوجد لهما شيء من هذا كما قاله الحافظ بن عبد البر : "وكان دليلهم أن الذين حدثوا عمن لم يدركوا كمالك بن أنس عن سعيد بن المسيب ، وسفيان الثوري عن إبراهيم النخعي وما أشبه كان يمكنهم لو شاء أحدهم أن يفعل ، أن يسمى من حدثه فسكوته عن ذكر من حدثه مع علمه نوع من التدليس" .

وبهذا التعريف نفهم ما قيل عن سفيان الثوري : "كان سفيان الثوري إمامًا في الحديث ، وفي رواية أمير المؤمنين في الحديث ، وكان مع ذلك يدلس" ، وما رمي به مالك من التدليس .

وروى الخطيب في الكفاية عن الفضل يعني ابن موسى يقول : قيل لهشيم ما حملك على هذا ؟ يعني التدليس ، قال : إنه أشهى شيء !

والنوع الثاني من التدليس هو تدليس القطع (كما سماه الحافظ بن حجر) ، ويسمى أيضًا تدليس الحذف ، وهو أن يسقط الراوي أداة الرواية مقتصرًا على اسم الشيخ أو يأتي بها ثم يسكت ناويًا القطع [أسباب اختلاف المحدثين] ص ٤٨٦ .

والتدليس – خاصة تدليس الإسناد – مكروه كراهية ذهب بها صاحب اختلاف المحدثين إلى كراهة التحريم ، وقال : "وقد ذمه أكثر أهل العلم" ، فقال شعبة بن الحجاج : "التدليس أخو الكذب" ، وقال حماد بن زيد : "التدليس كذب" ، ثم ذكر حديث النبي ﷺ (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) ، وقال حماد : "لا أعلم المدلس إلا متشبعًا بما لم يعط" ، وقال شعبة : "لأن أزني أحب إلي من أن أدلس" .

وكان عبد الله بن المبارك يقول : "لأن نخر من السماء أحب إلينا من أن ندلس حديثًا" .

وقال [illegible] : "التدليس والغش والغرور والخداع والكذب تحشر يوم تبلى السرائر في نفاذ واحد" .

وقال أبو أسامة : "خرب الله بيوت المدلسين ما هم عندي إلا كذابون" [الكفاية] ص ٣٥٦ .

ويفترض مع هذا أن يُستبعد الحديث المدلس من الاحتجاج ، وأن يجرح المدلس ، ولكن الحقيقة أن ثمة ثلاثة أقوال :

الأول : أن التدليس جرح للمدلس مطلقاً .

والثاني : قبول خبر المدلس .

والثالث : أن المدلس إذا كان لا يروى إلا عن ثقة استثنى عن توقيفه ولم يسأل عن تدليسه ، وهذا الأخير هو مذهب أكثر أئمة الحديث كما قال الحافظ بن عبد البر في التمهيد .

وواضح أن نزعة الترخص والتساهل دخلت ـ وأن عامة الحديث لم تخل من درجة من درجات التدليس ـ كما قلنا عندما اشرنا إلى النوع الأول الذي قالوا عنه ـ كما ذكرنا ـ إن أحدا من العلماء لم يسلم من التدليس في قديم الدهر [بما في ذلك مالك ، وهو النجم في الحديث بتعبير الشافعي] ، وإذا وضعنا في تقديرنا ما جاء في هذا الفصل بدءًا من التشدد أولاً ثم الترخص بعد ذلك لتفهمنا الكثير من المفارقات التي يحفل بها الحديث ، كأن يوجد من الأئمة متساهلون ومتشددون ، فمن المتساهلين سفيان الثوري الذي قال عنه الحافظ السخاوي : "أما سفيان الثوري فكان يترخص على سعة علمه وشدة ورعه ، ويروى عن الضعفاء حتى قال فيه صاحبه شعبة : "لا تحملوا عن الثوري إلا عمن تعرفوه ، فإنه لا يبالي عمن حمل" .

وكأن هذا لم يكن كافيًا فإن عددًا من الفقهاء أجاز وضع الأحاديث بطريقة ملفوفة أو غير مباشرة ، قال أبو العباس القرطبي في شرح صحيح مسلم "أجاز بعض فقهاء أهل الرأي نسبة الحكم الذي يدل عليه القياس الجلي إلى رسول الله نسبة قولية فيقولون في ذلك قال رسول الله ﷺ كذا ، ولهذا تجد كتبهم مشحونة بأحاديث تشهد متونها بأنها موضوعة لأنها تشبه فتاوى الفقهاء ، ولا تليق بجزالة كلام سيد المرسلين .

ويروى عن أبي لهيعة ـ كما أخرج في الحلية ـ عن رجل من الخوارج : "إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فإننا كنا إذا هوينا أمرًا صيرنا له حديثًا" ، فإذا كان عدوى الوضع أصابت الخوارج ولديهم الكثير من التقوى والورع ، فما بالك بأهل التساهل والترخص .

وقال خالد بن زيد سمعت محمد بن سعيد الدمشقي يقول : إذا كان كلام حسن لم أر بأسًا من أن أجعل له إسنادًا ، انظر شرح النووي لمسلم ج ١ ص ٣١ .

* * *

طوفان الوضع :

إذا كان مناخ الاستحلال قد فتح واسعًا البَابْ أمام الموضوعات ، فإن طبيعة قبيلة "حدثنا" كان فيها شيء يسهل هذا ويفسح له المجال ، وقد عرف عنهم نوع من الغفلة والسذاجة ،

كما أن حماستهم البالغة للتجميع دفعت بهم ـ بصرف النظر عن عوامل الاستحلال ـ إلى الكذب سواء كان هذا الكذب نتيجة لكثرة الرواية أو النسيان والخطأ ، أو كان لتحقيق التكاثر المطلق ، وهناك أكثر من أثر نص فيه على هذا المعنى . قال عبد الرحمن بن مهدي : "فتنة الحديث أشد من فتنة المال والولد ، لا تشبه فتنته فتنة ، كم رجل يظن به الخير قد حملته فتنة الحديث على الكذب" ، يقول ابن رجب تعليقاً على ذلك "يشير إلى من حدث من الصالحين من غير إتقان وحفظ فإنما حمله على ذلك حب الحديث والتشبه بالحفاظ فوقع في الكذب على النبي ﷺ ، وهو لا يعلم ولو تورع واتقى الله لرأى الكف عن ذلك فسلم" .

واتهمهم عدد من العلماء بالجهل ، ومن ذلك ما قاله عمر الكلبي :

إن الرواة على جهل بما حملوا   مثل الجمال عليها يحمل الودع
لا الودع ينفعه حمل الجمال لـه   ولا الجمال بحمل الودع تنتفـع

وكلما كان المحدث أموق كان عندهم أنفق ، وإذا كان كثير اللحن والتصحيف كانوا به أوثق ، وإذا ساء خلقه وكثر غضبه واشتد حدة وعسرة في الحديث تهافتوا عليه .

وتكرر مثل هذا النقد لدي المتأخرين كالذي صرح به الحافظ الذهبي خلال القرن الثامن للهجرة ، ذلك أنه نقد المحدثين المتأخرين وقال : "إن غالبهم لا يفقهون ، ولا همة لهم في معرفة

الحديث ولا في التدين به ، بل الصحيح والموضوع عندهم بنسبة ، إنما همتهم في السماع على جهلة الشيوخ وتكثير العدد من الأجزاء والرواة ، لا يتأدبون بآداب الحديث ولا يستفيقون من سكرة السماع ، معذور سفيان الثوري إذ يقول : لو كان الحديث خيرًا لذهب كما ذهب الخير ، صدق والله وأي خير في حديث مخلوط صحيحه بواهيه ! وأنت لا تفليه ولا تبحث عن ناقليه ولا تدين به ، بالله خلونا ! فقد بقينا ضحكة لأولى المعقولات يطنزون بنا : هؤلاء هم أهل الحديث ؟ نعم ماذا يضر ولو لم يبق إلا تكرار الصلاة على النبي ﷺ لكان خيرًا من تلك الأقاويل التي تضاد الدين وتطرد الإيمان واليقين وتردي في أسفل السافلين"[1] .

فلذلك ما رآه التابعون وتابعوهم في الحديث ، وهو أنه من الشر المتزايد وقد وصوا بالابتعاد عنه وعدم الانشغال فيه ، الأمر الذي لم يلتزم به أصحاب الصحاح ، إذ رأوا الخير في الاشتغال به والعمل على تكثيره .

وصور لنا أبو هريرة الذي يمكن أن يعد شيخ قبيلة المحدثين سر إكثاره الحديث أن رسول الله ﷺ قال في حديث يحدثه يومًا إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي جميع مقالتي ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول ، فبسطت نمرة عليّ حتى إذا قضى مقالته جمعتها إلى صدري فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء" .

---

(١) مشكلة الحديث للأستاذ يحيى محمد ، ص ٩٩ .

وأدت بأبي هريرة رغبته في الإكثار والتجميع لأن يأخذ عن كعب الأحبار ، ولم يكن الأمر أمر حديث أو اثنين ، ولكنه كان حديثاً مستفيضاً الى الدرجة التي يتوهم البعض أن أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ بينما هو يحدث عن كعب وأساطيره ، ومن ذلك ما جاء عن بسر بن سعيد أنه قال : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب ، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله ﷺ عن كعب ، ويجعل حديث كعب عن رسول الله ﷺ .

وكان عكرمة راوي ابن عباس المشهور وصاحب حديث "من بدل دينه فاقتلوه" متهماً ، وكان سعيد بن المسيب يرفضه ، وروي عن ابن عمر أنه قال لنافع : لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس ، وكذا كان مالك لا يرى عكرمة ثقة ، ويأمر أن لا يؤخذ عنه ، وقال القاسم إن عكرمة كذاب يحدث غدوة بحديث يخالفه عشية ، وكان عكرمة يرمي بثلاث قضايا ، أحدها الكذب ، وثانيها أنه يرى رأي الخوارج ، وثالثها أنه يقبل جوائز الأمراء .

وحتى مالك نفسه فإنه قال : "كثير من هذه الأحاديث ضلالة ، لقد خرجت مني أحاديث لوددت إني ضربت بكل حديث منها سوطين ، وإني لم أحدث به (مقدمة فتح الباري ضمن الفصل العاشر) .

وتحدث ابن قتيبة عن المحدثين – وهو من أكثر المتحمسين لهم – فقال : "قد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف ، وطلبهم الغرائب وفي الغريب الداء ، ولم يحملوا الضعيف والغريب ، لأنهم رأوهما حقا ، بل جمعوا الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، ليميزوا بينهما ، ويدلوا عليهما .

وربما نسي الرجل منهم الحديث قد حدث به ، وحفظ عنه ويُذاكر به ، فلا يعرفه ، ويخبر بأنه قد حدث به ، فيرويه عمن سمعه منه ، ضنا بالحديث الجيد ، ورغبة في السُنة ، كرواية ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قضى باليمين مع الشاهد .

قال ربيعة ثم ذاكرت سهيلاً بهذا الحديث ، فلم يحفظه ، وكان بعد ذلك يرويه عني عن نفسه عن أبيه عن أبي هريرة .

وكرواية وكيع وأبي معاوية عن ابن عيينة حديثين :

أحدهما عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، قال حدثناه محمد بن هارون قال : نا إبراهيم بن بشار قال : نا ابن عيينة عن أبي معاوية عن أبي معاوية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله "يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا" قال : تدور دورًا .

وعن عمرو عن عكرمة في قول الله تعالى : "مِنْ صَيَاصِيهِمْ" قال الحصون .

فسئل ابن عيينة عنهما ، فلم يعرفهما ، وحدث ابن عيينة بهما عنهما عن نفسه .

وروي ابن عُلية عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمر بن عبد العزيز أنه كان لا يرى طلاق المكره شيئاً فسأل عنه ابن عيينة فلم يعرفه، ثم حدث به بعد عن ابن علية عن نفسه .

وأما طعنهم عليهم بقلة المعرفة لما يحملون ، وكثرة اللحن والتصحيف ، فإن الناس لا يتساوون جميعًا في المعرفة والفضل ، وليس صنف من الناس إلا وله حشو وشوب .

على أن المنفرد بفن من الفنون لا يعاب بالزلل في غيره .

وليس على المحدث عيب أن يزل في الإعراب ، ولا على الفقيه أن يزل في الشعر .

وإنما يجب على كل ذي علم أن يتقن فنه إذا احتاج الناس إليه فيه ، وانعقدت له الرناسة به" [1] .

ليس لنا أن نعجب إذن إذا كانت البلبلة المذهبية والنظرية سواء في الفقه أو الأعتقاد وزحف الملل والنحل الذي ترك آثاره ، ثم عسف الحكام جيلاً بعد جيل من معاوية حتى نهاية الخلافة المزعومة ، هذا القهر الذي قضي على الإرادة بقدر ما فرض

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٢١٣ ــ ٢٧٦ ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، ص ٧٤ ــ ٧٧ بتصرف .

الاستخذاء والتسليم ، ثم طبائع قبيلة "حدثنا" النفسية كانت بحكم استهدافها الكم والعدد والتجميع مهيأة للترخص شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى الكذب وإلى وضع الحديث ، نقول لا يحق لنا أن نعجب إذا شاهدنا أكداسًا وتلالاً من الأحاديث ترتفع أعدادها من مئات الألوف حتى وصل إلى المليون عند الإمام أحمد بن حنبل .

ولم يكن عجبًا أن يشتهر شخص بالصلاح ويتهم في الوقت نفسه بوضع الحديث ، فقد قيل إن أحمد بن محمد الفقيه المروزي كان أصلب أهل زمانه في السُنة وأذبهم عنها وأقمعهم لمن خالفها ، ومع هذا فقد كان يضع الحديث ، ومن ذلك أنه وضع في فضائل قزوين نحو أربعين حديثًا ، وكان يقول إني أحتسب في ذلك .

وورد عن الزهاد والصالحين الكثير من الوضع حتى قال أبو عاصم النبيل : ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث .

وهناك من فسر بعض الوضع بأنه لم يكن من الكذب المتعمد ، بل من الخطأ في نقل الحديث ، فقد ورد في صحيح مسلم أن يحيى بن سعيد القطان قال : لم نر الصالحين في شيءٍ أكذب منهم في الحديث .

وفي خبر آخر عنه أيضًا : لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث .

وفي خبر آخر قوله : ما رأيت الصالحين في شيء أشد فتنة منهم في الحديث ، لكن مسلمًا علق على ذلك ، وقال : يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب .

وقيل إن وهب بن حفص كان من الصالحين وقد مكث عشرين سنة لا يكلم أحدًا ، ومع ذلك وصفه أبو عروبة بأنه كان يكذب كذبًا فاحشًا .

وروي عن أبي هريرة من أن النبي ﷺ قال : من حدث عني حديثًا هو لله رضا فأنا قلته وبه أرسلت ، ولهذا السبب أجاز بعض الكرامية وضع الأحاديث الخاصة بكل من الثواب والعقاب ترغيبًا للناس .

وكان هشام بن عروة يقول إذا حدثك العراقي بألف حديث فالق تسعمائة وتسعين وكن من الباقي في شك . كما أن الشافعي كان يقول : كل حديث لا يوجد له اصل في حديث الحجازيين فهو واه وإن تداولته الثقات ، وذهب الكثير من الحجازيين إلى المنع من الاحتجاج بحديث عراقي أو شامي إن لم يكن له أصل بالحجاز ، حتى قال قائلهم — وهو مالك بن أنس : نزلوا أحاديث أهل العراق بمنزلة أحاديث أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقيل لآخر : سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله حجة ، قال : إن لم يكن له أصل بالحجاز فلا ، وقد كان مالك يقول : والله ما استوحش سعيد بن المسيب ولا غيره من

أهل المدينة لقول قائل من الناس ، ولولا أن عمر بن عبد العزيز أخذ هذا العلم بالمدينة لشككه كثير من الناس .

قال أبو عاصم النبيل : ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث ، وهناك من فسر بعض الوضع بأنه لم يكن من الكذب المتعمد ، بل من الخطأ في نقل الحديث ، فقد ورد في صحيح مسلم أن يحيى بن سعيد القطان قال : لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث ، وفي خبر آخر عنه أيضًا : لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث . لكن مسلمًا علق على ذلك وقال : يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب .

وذهب قوم إلى وضع الأسانيد لكل كلام حسن ، فعن محمد بن سعيد أنه قال : لا بأس إذا كان كلام حسن أن تضع له إسنادًا ، ونقل عن سليمان بن عمرو النخعي أنه كان يضع الأحاديث كما يضع لكل مسألة وحديث إسنادًا ، ومن ذلك جاء أنه كان في حجره كتاب فيه مصنف ابن أبي عروبة وهو يركب عليه الأسانيد ويقول حدثنا خصيف وحدثنا حصين ، وفي مناسبة أخرى أنه كان يصرح في جملة من الأحاديث أنه ليس منها شيء إلا وعنده فيه إسناد ، وقال يحيى بن معين أخبرني رجل أنه نزل عليه سليمان بن عمرو النخعي وكان عنده أصحاب الحديث يومًا وهو يملي عليهم ، فاطلعت فإذا في حجره كتاب من كتب أبي حنيفة وهو يملي عليهم خصيف عن سعيد بن جبير وسالم عن سعيد ، يعني أنه يضع لكل مسألة إسنادًا .

وجاء عن عفان أنه قال : كتبت عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث وما حدثت منها بألفي حديث ، وكتبت عن وهيب أربعة آلاف ما حدثت منها بألف حديث ، وكتبت عن عبد الواحد بن زياد ستة لألاف ما حدثت منها بألف .

وذكر الكيا الهراسي من أن مقدار أحاديثه كانت ٧٠٠٠ ثم أخذ العدد يتناقص عنده إلى ٧٠٠ حديث .

قال سليمان بن بلال : لقد وضع مالك "الموطأ" وفيه ٤٠٠٠ حديث فمات وهي ١٠٠٠ حديث ونيف ، يخلصها عامًا عامًا بقدر ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل في الدين .

كما ذكر عتيق الزبيري بأن ما وضعه مالك في "الموطأ" هو على نحو من ١٠٠٠٠ حديث فلم يزل ينظر فيه ويسقط منه حتى بقي هذا ، ولو عاش قليلاً لأسقطه .

وجاء أن يحيى بن معين قال : كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث ، فعلق أحمد بن عقبة على ذلك وقال : وإني أظن أن المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ستمائة ألف وستمائة ألف ، كما سئل ابن معين : أيفتي الرجل من مائة ألف حديث ؟ قال : لا ، وتكرر السؤال : من مائتي ألف .. من ثلاثمائة ألف ؟ قال : لا ، فسئل : من خمسمائة ألف ؟ فقال : أرجو ، كما جاء عن عليّ بن المديني أنه قال : تركت من حديثي مائة ألف حديث فيها ثلاثون ألفا لعباد بن صهيب ، وجاء عن أبي أسامة أنه كتب بيده مائة ألف حديث ،

وجاء عن أب زرعة أنه قال : كتبت عن إبراهيم بن موسى الرازي مائة ألف حديث ، وعن أبي بكر بن أبي شيبة مائة ألف حديث ، كما جاء عن ابن حنبل أنه قال بأن هذا الفتى ـ يعني أبا زرعة ـ قد حفظ ستمائة ألف حديث .

وقال ابن عقدة إن أقل شيخ سمعت منه له عندي مائة ألف حديث ، فقال له بعض الحاضرين : أيها الشيخ نحن أخوة أربعة قد كتب كل واحد منا عنك مائة ألف حديث ، وقيل إنه ظهر لأبي كريب بالكوفة ثلاثمائة ألف حديث ، وإن البعض سمع من عبد الله بن عمر القواريري مائة ألف حديث .

كما جاء عن أبي بكر بن أبي دارم أنه كتب عن أبي جعفر الحضرمي مطين مائة ألف حديث ، وجاء عن محمد بن المسيب أنه قال : كنت أمشي بمصر وفي كمي مائة جزء وفي كل جزء ألف حديث ، وقال : كتب في عصرنا جماعة بلغ المسند المصنف على تراجم الرجال لكل واحد منهم ألف جزء ، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة الأصفهاني وأبو علي الحسين بن محمد ابن أحمد الماسرجسي .

وأظهرت كتب المسانيد التي ظهرت في القرنين الثالث والرابع والخامس مدى تضخم الأحاديث ، وقد اصبح معظمها مفقودًا ، وفي نظرنا أن هذا يعود إلى ركاكة معظمها مما لم يصمد للتطور ، فقد قيل أن مسند أبي يوسف بن شيبة الذي يتضمن

مسانيد لعدد من الصحابة ، قيل إن نسخة مسند أبي هريرة منه قد شوهدت بمصر فكانت مائتي جزء ، وكذا مسند ابن شاهين البغدادي الذي يحتوي على ألف وستمائة جزء ، ومسند الحسين الماسرجسي النيسابوري الذي يحتوي على ألف وثلاثمائة جزء ، وقدر أنه لو كتب بخطوط الوراقين لكان في أكثر من ثلاثة آلاف جزء ، وقيل إنه لم يصنف في الإسلام مسند أكبر منه .

وقال ابن داسة سمعت ابا داود يقول : كتبت عن نبي ﷺ خمسمائة ألف حديث ، انتخبت منها هذه السنن فيها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، لكنه كان يذكر الحديث الضعيف ويصرح بضعفه ، وكان يترجم على كل حديث بما استنبط منه عالم وذهب إليه ذاهب ، وما سكت عنه فهو صالح عنده .

وروي عن البخاري أنه قال : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح .

نقل عن أحمد بن حنبل قوله : صح من الحديث سبعمائة ألف حديث .

وقال مسلم صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث ، وقال الحاكم في المدخل كان الواحد من الحفاظ (تأمل قوله كان الواحد من الحفاظ) يحفظ خمسمائة ألف حديث .

وفي النهاية نجد الإمام أحمد بن حنبل يعرف ألف ألف حديث ، وقال الإمام الصرصري في لاميته عن الإمام أحمد :

حوى ألف ألف من أحاديث أسندت

وأثبتهـا حفظاً بقـلب موصـل

أجاب على سـتين ألف قضية

بأخبرنا لا من صحائف نقـل

وقد عقب أحد الكتاب على ذلك بأنهم "كانوا يريدون بهذه الأعداد العظيمة ما يشمل السُنة وآثار الصحابة والتابعين أو أنهم كانوا يريدون طرق الحديث المتنوعة ، وقد يكون الحديث واحدًا ولكن طرقه تجعله مائة لأنهم كانوا يقولون لو لم نكتب الحديث الواحد من عشرين وجهًا ما عرفناه" .

ويستطرد هذا الكاتب : "وفي صيد الخاطر للحافظ ابن الجوزي في فصل ١٧٥ جرى بيني وبين أصحاب الحديث كلام في قول الإمام أحمد صح عن رسول الله ﷺ سبعمائة ألف حديث ، فقلت له : إنما يعني الطرق ، فقال : "لا المتون" ، فقلت هذا بعيد التصور ، ثم رأيت لأبي عبد الله الحاكم في كتاب المدخل إلى كتاب الأكليل كلامًا ، فعجبت كيف خفي هذا على الحاكم ، وهو يعلم أن أجمع المسانيد الظاهرة مسند أحمد وقد طاف الدنيا مرتين حتى حصله وهو أربعون ألف حديث منها عشرة آلاف مكررة" (كتاب نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، تأليف عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني الفاسي) ، ص ٢٠٤ ، ج ٢ .

لم يكن هناك شك في أن هذه الألوف المؤلفة حتى من وضع قبيلة "حدثنا" ، وأنها لم تصل إلينا ، وأغلب الظن أن هذه الأقاويل عن مئات الألوف من الأحاديث هي نفسها إدعاء بعيد عن الصحة والسلامة ، فإن القليل الذي وصلنا من هذه الألوف المؤلفة أثار الشك وبث الريب ، فكيف لو كان لها حقيقة أو أصل كافيًا لإثارة الشك ، وقد حاول اثنان من كبار الكتاب أولهما ابن قتيبة في كتابه "تأويل مختلف الحديث" وتحقيق توافق ما بين المعاني المتضادة ، وحاول الدكتور محمد أبو شهبة في كتابه "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" الدفاع عن الأحاديث التي انتقدها الشيخ محمود أبو رية في كتابه "أضواء على السُنة المحمدية" فلم يوفقا وأثبتا أن إيمانهما هو بالأشخاص والأسانيد وليس بالمعاني أو المتون .

<u>المراجع :</u>

كل الشواهد السابقة موثقة وتعود إلى المراجع التالية :

(١) الموضوعات .

(٢) الكفاية في علم الرواية .

(٣) صحيح مسلم .

(٤) المدخل إلى الأكليل .

(٥) مقدمة ابن الصلاح .

(٦) البغدادي (تاريخ بغداد) .

(٧) أدب الإملاء والاستملاء .

(٨) الجامع لأخلاق الراوي .

(٩) المحدث الفاصل .

(١٠) الرازي (تقدمة المعرفة) .

(١١) النيسابوري (معرفة علوم الحديث) .

(١٢) العسقلاني (النكت على كتاب ابن الصلاح) .

(١٣) سير أعلام النبلاء .

(١٤) الأندلسي (الأحكام في أصول الأحكام) .

(١٥) التعديل والتجريح .

(١٦) ابن حجر (طبقات المدلسين) .

(١٧) بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم تأليف

(١٨) تحقيقات وأنظار في القرآن .

(١٩) الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار .

(٢٠) انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك .

(٢١) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب .
(٢٢) توضيح الأفكار .
(٢٣) تاريخ المذاهب الإسلامية .
(٢٤) الرسائلة المستطرفة .
(٢٥) موطأ الإمام مالك .
(٢٦) البحر المحيط .
(٢٧) معرفو علوم الحديث وقواعد التحديث .
(٢٨) مقدمة فتح الباري .
(٢٩) حجة الله البالغة .
(٣٠) شروط الأئمة الستة .
(٣١) الموقظة في علم مصطلح الحديث .
(٣٢) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر .
(٣٣) شروط الأئمة الخمسة .
(٣٤) طبقات الحنابلة .
(٣٥) اختصار علوم الحديث .
(٣٦) ابن تيمية (مقدمة في أصول التفسير) .
(٣٧) نظام الحكومة النبوية .
(٣٨) الجامع لأخلاق الراوي .
(٣٩) الدكتور محمد رأفت سعيد (الحديث الضعيف حكم روايته والعمل به) ، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة ، كلية الشريعة ، قطر .
(٤٠) الدكتور عمر يوسف حمزة (الحديث الضعيف) ، مجلة البعث الإسلامي ، لكناو ، الهند ، جامعة قطر .

(٤١) شرح النخبة .

(٤٢) خلدون الأحدب (أسباب اختلاف المحدثين) ، نشر الدار السعودية ، جدة .

(٤٣) الخطيب البغدادي (الكفاية) ، طبعة الهند .

(٤٤) والكثير من هذه الشواهد ورد في كتابنا "السُنة ودورها في الفقه الجديد" وهو الجزء الثاني من مجلد "نحو فقه جديد" أو "الأصلان العظيمان .. الكتاب والسُنة" ، وكذلك في كتاب "مشكلة الحديث" للأستاذ يحيى محمد منها استمددنا هذه الشواهد .

الفصل الثالث

جناية قبيلة (حدثنا)

أولاً : على العقيدة :

العقيدة في كل دين هي واسطة العقد ، وهي التي تميز الأديان عن المذاهب والنظريات الفلسفية ، وتجعل كل الأديان تدور حول "الألوهية" ، فالأديان على اختلافها تدور حول أن هذا الكون لم يخلق عبثاً ، ولم يتكون بفضل الصدفة الشرود أو بمرور ملايين السنين من التطور العشوائي أسفر في النهاية عن "خلق الإنسان" ، هذا ما ترفضه الأديان ، فالأديان تؤمن أن هذا الكون خلقه إله يمثل الحياة والحكمة والقدرة والقوة ، بصورة ومدى لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها ، وأنه أقامه لحكمة وربط بين أجزائه من الناموسة الدقيقة حتى المجرات اللانهائية بقوانين ينظمها ويسيرها ويحول دون انفلاتها ، وأنه خلق الإنسان كأسمى مخلوق حي وزوده بالعقل والضمير والإرادة ، كما أنه أوجد المجتمع الإنساني بما فيه من تعقيد اجتماعي ومن قوى أهواء وإغواء وإفساد عبر عنها الإسلام بـ "الشيطان" ، ليبرز الإرادة ويميز القوي من الضعيف .

وبقدر ما تكون فكرة "الله" واضحة قوية يتجاوب معها القلب ويتقبلها العقل كلما كان الدين قويًا ، وكلما كان قوة تقدم وتنظيم للمجتمع ، وبقدر ما تكون الفكرة مبهمة أو ملفقة كلما انعكس ذلك على إيمان المؤمن ، فيبدو قلقاً مضطربًا غير متماسك .

وإذا نظرنا إلى الإله الأول لليهود "ياهو" لوجدناه إلهًا لا يهمه في الكون إلا بني إسرائيل ، فيعدهم أرضًا من النيل للفرات ، كأن هذه أرض خالية يمكن أن يعهد بها إلى قبيل من الناس ، ولرأيناه قُـلـبًا يغضب على بني إسرائيل لمخالفاتهم ، ولكنه يعود دائمًا فيبسط رضاه عليهم ، وهو يمنحهم الامتياز على العالمين ، وأنهم الجنس المختار المتميز عن الناس جميعًا .. الخ ، وهو إله غيور يفتقد الذنوب في الجيل الرابع من الأبناء ، أننا نجد أن هذه الصفات انعكست على الإيمان اليهودي ، وعلى الجنس اليهودي ، وعلى التاريخ اليهودي ، ولا ينفى هذا أن يوجد في الجنس نوابغ ومخترعين وفنانين .. الخ ، لأن العموم لا ينفي الخصوص ، ولكن يظل الخصوص خصوصًا .

وقد تحل أديان مشكلة الألوهية بوجود إلهين ، إله للخير وإله للشر ، وأن كل واحد منهما يعمل في اختصاصاته ، وهذا يمكن أن يكون تصويرًا إنسانيًا ، لأمر يبدو واقعًا ، ولكن لا يرقى بالطبع إلى فكرة الألوهية ، وما ينبغي لها قدرة ، فضلاً عن أن عمل كل إله يمكن أن يلغي الإله الآخر .

في أديان أخرى تدخل اللاهوت بحيث أصبح التوصل إلى فكرة الله عملية مستعصية لابد أن تعلم ، أو أنها تعد من الأسرار .. الخ .

ويتطلب هذا عادة إقامة مؤسسة دينية قوية ـ هي الكنيسة ـ هي التي تتولى وحدها تفسير الدين وحل ألغازه ورموزه ، ومعرفة أسرار الكنيسة السبعة ، ويكون لها سلطة الحرمان لمن يشذ عن حكمها بحيث يصبح الدين عمليًا وأصوليًا في يد الكنيسة .

ويقدم الإسلام الله أفضل عرض ، وهو بالطبع يقوم على أساس التوحيد ، ولكن هذا لا ينفي أن يكون لله تعالى صفات عبر عنها في القرآن ، فالله تعالى هو رمز العلم ، ورمز العدل ، ورمز القيم ، ورمز الحرية ، وهو الذي جعل الإنسان خليفة له على الأرض ، فهذه يجب أن تذكر بجانب التوحيد الذي قدمه الرسول **وجاء في أحاديث ثابتة أن العقيدة هي الإيمان بالله تعالى ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، هذا هو التعريف الذي يجب أن يكون محل الالتزام .**

جاءت قبيلة "حدثنا" ، وبالذات فخذ من هذه القبيلة يمكن أن نطلق عليه "الوهابي" ، فحقق العقيدة تحقيقاً دقيقاً ونقب عن أسرارها وخوافيها ، بحيث توصل إلى أن هناك أمور تؤخذ ببساطة في حين أنها تتضمن شركاً أكبر وشركاً أصغر ، والأول يخرج صاحبه من الملة ، والثاني يجعل إيمانه على حرف ، وهي تفرض على كل واحد ، الفلاح في حقله ، والعامل أمام آلته ،

والموظف على مكتبه العلم بها والإيمان بها ، وأن ينبذ من يخالفها بالكفر ، وإن لم يفعل يصبح هو نفسه كافرًا .

يدور التعريف الوهابي لحقيقة الألوهية في الإسلام على محور رئيسي هو "التوحيد" وأن هذا التوحيد يستبعد كل ما عدا الله ويستبعد أي شيء يشترك مع الله ، وسنعرض فيما يلي نماذج لها :

جاء في كتاب "التوحيد" للشيخ محمد عبد الوهاب مقدمة تشتمل على صفوة عقيدة أهل السُنة وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسُنة وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

فيشهدون أن الله هو الرب الإله المعبود ، المتفرد بكل كمال فيعبدونه وحده ، مخلصين له الدين .

وأنه المألوه المعبود الموحد المقصود ، وأنه الأول الذي ليس قبله شيء ، الآخر الذي ليس بعده شيء ، الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، الباطن الذي ليس دونه شيء .

وأنه العلي الأعلى بكل معنى واعتبار ، علو الذات وعلو القدر ، وعلو القهر .

وأنه على العرش استوى ، استواء يليق بعظمته وجلاله ، ومع علوه المطلق وفوقيته ، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن

والعالم العلوي والسفلي ، وهو مع العباد بعلمه ، يعلم جميع أحوالهم ، وهو القريب المجيب .

وأنه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته ، والكل إليه مفتقرون في إيجادهم وإيجاد ما يحتاجون إليه في جميع الأوقات ، ولا غنى لأحد عنه طرفة عين ، وهو الرءوف الرحيم الذي ما بالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة إلا من الله ، فهو الجالب للنعم الدافع للنقم .

ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يستعرض حاجات العباد حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : لا أسأل عن عبادي غيري ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ، مَن ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، حتى يطلع الفجر ، فهو ينزل كما يشاء ، ويفعل كما يريد ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير .

ويعتقدون أنه الحكيم الذي له الحكمة التامة في شرعه وقدره ، فما خلق شيئاً عبثاً ، ولا شرع الشرائع إلا للمصالح والحكم .

وأنه التواب العفو الغفور ، يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ، ويغفر الذنوب العظيمة للتائبين والمستغفرين والمنيبين .

وهو الشكور الذي يشكر القليل من العمل ويزيد الشاكرين من فضله .

ويصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من الصفات الذاتية ، كالحياة الكاملة ، والسمع والبصر ، وكمال القدرة والعظمة والكبرياء ، والمجد والجلال والجمال ، والحمد المطلق .

ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته كالرحمة والرضا ، والسخط والكلام ، وأنه يتكلم بما يشاء كيف يشاء ، وكلماته لا تنفد ولا تبيد .

وأن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود .

وأنه لم يزل ولا يزال موصوفاً بأنه : يفعل ما يريد ويتكلم بما شاء ، ويحكم على عباده بأحكامه القدرية ، وأحكامه الشرعية ، وأحكامه الجزائية ، فهو الحاكم المالك ، ومن سواه مملوك محكوم عليه ، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمه .

ويؤمنون بما جاء به الكتاب وتواترت به السُنة ، إن المؤمنون يرون ربهم تعالى عياناً جهرة ، وأن نعيم رؤيته والفوز برضوانه أكبر النعيم واللذة .

وأن من مات على غير الإيمان والتوحيد فهو مخلد في نار جهنم أبدا ، وأن أرباب الكبائر إذا ماتوا على غير توبة ولا حصل

لهم مكفر لذنوبهم ولا شفاعة ، فإنهم وإن دخلوا النار لا يخلدون فيها ، ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان إلا خرج منها .

وأن الإيمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها ، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان ، فمن قام بها على الوجه الأكمل ، فهو المؤمن حقاً الذي استحق الثواب وسلم من العقاب ، ومن انتقص منها شيئاً نقص من إيمانه بقدر ذلك ، ولذلك كان الإيمان يزيد بالطاعة وفعل الخير ، وينقص بالمعصية والشر .

فصل

ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله أرسله الله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو خاتم النبيين ، أرسل إلى الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه ، وسراجًا منيرًا أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا ، وليقوم الخلق بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك ، ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بياناً ، فيعظمونه ويحبونه ويقدمون محبته على محبة الخلق كلهم ويتبعونه في أصول دينهم وفروعه ، ويقدمون قوله وهديه على قول كل أحد وهديه ، ويعتقدون أن الله جمع له من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمعه لأحد ، فهو أعلى الخلق مقامًا وأعظمهم جاهًا ، وأكملهم في كل فضيلة ، لم يبق خير إلا دل أمته عليه ولا شر إلا حذرهم عنه .

وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله ، وكل رسول أرسله الله ، لا يفرقون بين أحد من رسله .

ويؤمنون بالقدر كله ـ وأن جميع أعمال العباد ـ خيرها وشرها قد أحاط بها علم الله ، وجري به قلمه ، ونفذت فيها مشيئته ، وتعلقت بها حكمته ، حيث خلق للعباد قدرة وإرادة ، نفع بها أقوالهم وأفعالهم بحسب مشيئتهم ، لم يجبرهم على شيء منها ، بل جعلهم مختارين لها ، وخص المؤمنين بأن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته .

ويرون الجهاد في سبيل الله ماضيًا مع البر والفاجر ، وأنه ذروة سنام الدين ، جهاد العلم والحجة ، وجهاد السلاح ، وأنه فرض على كل مسلم أن يدافع عن الدين بكل ممكن ومستطاع .

ويؤمنون بأن أفضل الأمم أمة محمد ﷺ وأفضلهم أصحاب رسول الله ﷺ ، خصوصًا الخلفاء الراشدون ، والعشرة المشهود لهم بالجنة ، وأهل بدر ، وبيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، فيحبون الصحابة ، ويدينون لله بذلك ، وينشرون محاسنهم ويسكتون عما قيل عن مساوئهم .

ويدينون لله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل ، ومن لهم المقامات العالية في الدين والفضل المتنوع على المسلمين ، ويسألون الله أن يعيذهم من الشك والشرك والشقاق وسوء الأخلاق ، وأن يثبتهم على دين نبيهم إلى الممات .

هذه الأصول الكلية ، بها يؤمنون ، ولها يعتقدون ، وإليها يدعون" انتهى .

* * *

وهناك تعريف موجز للإمام أحمد في عقيدة أهل السُنة التي رواها الإصطخري : "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السُنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا ، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة ، زائل عن منهج السُنة وسبيل الحق .

وأهم المسائل التي نص عليها أئمة السُنة في معتقداتهم وخالفوا بها أهل البدع هي :

مسألة الإيمان ، وأنه قول وعمل ونية ، يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية خلافاً للمرجئة الذين لا يعدون العمل من الإيمان وينفون عنه الزيادة والنقصان ، وللخوارج الذين يكفرون بالذنب .

ومسألة القدر وإثبات القدر خيره وشره من الله ــ ﷻ ــ خلافاً للقدرية وللجبرية .

ومسألة إثبات الصفات لله ــ ﷻ ــ كما وردت في القرآن والسُنة وإمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ، خلافاً

للمتكلمين أصحاب مناهج التحريف والتأويل الفاسد ، وللمشبهة الذين مثلوا صفات الله ـ ﷻ ـ بصفات المخلوقين .

ومسألة القرآن وأنه كلام الله عز وجل منه بدأ وإليه يعود ، وإثبات صفة الكلام لله ـ ﷻ ـ خلافاً للمعتزلة والجهمية الذين ينفون صفة الكلام ويقولون : القرآن مخلوق وللأشاعرة الذين يقولون ببدعة الكلام النفسي والكلام اللفظي ، فيثبتون الأول وينفون الثاني عن الله ـ ﷻ ـ فينتهي بهم إلى القول بخلق القرآن .

ومسائل الشفاعة والحوض وعذاب القبر ورؤية الله ـ ﷻ ـ يوم القيامة ، خلافاً لأهل البدع الذين يقولون : إن خبر الآحاد لا تثبت به عقيدة ، ويزعمون أن هذه السُنن لم تثبت بالنصوص المتواترة .

ومسألة فضائل الصحابة وأهل البيت والجماعة ، وغيرها من المسائل عدها أهل السُنة أصولاً للسُنة ، فمن خالف في واحدة منها منهج أهل السُنة والجماعة خرج عن الجماعة ، ونسب إلى البدعة والضلالة" .

* * *

ومما يقدمونه أيضًا إيضاحًا للعقيدة السليمة أن "أهل السُنة والجماعة من أصحاب النبي ومن بعدهم يؤمنون بأن صفات الله جل وعلا الثابتة في الكتاب والسُنة صفات حقيقية لا مجازية ، ولذلك يقولون عن صفة اليدين "مذهب أهل السُنة والجماعة" ،

أن لله تعالى يدين اثنتين ويعتقدون أنهما يدان حقيقيتان تليقان بجلال الله تعالى ولا تماثلان يدي المخلوقين ، وهي من صفات الله تعالى الذاتية الثابتة له بالكتاب والسُنة وإجماع السلف له .

الغريب في الأمر أنهم ينكرون التفويض ، أي الذين يقولون نؤمن بالصفات الواردة في النصوص ، لكن لا نثبت المعنى الذي يدل عليه لفظ الصفة وإنما نفوض علم معناه إلى الله تعالى ، فقد قالوا هذا مذهب حادث بعد القرون المفضلة والسلف بريئون منه ، فقد تواترت الأقوال عن السلف بإثبات معاني الصفات ، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله – ﷻ – .

ويستدلون على ذلك بما قاله الحافظ الذهبي الشافعي – رحمه الله تعالى – في كتابه "العلو" ص (٥٣٢) في ترجمة القاضي أبي يعلى : "المتأخرون من أهل النظر ، أي أهل الكلام قالوا مقالة مُوَلَدة ما علمت أحدًا سبقهم ، قالوا : هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تؤول مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد" .

وقال علامة الهند محمد صديق خان في "قطف الثمر" ص (٤٥) بعد ذكره لمذهب المفوضة وذكره لظن بعضهم أن التفويض هو طريقة السلف قال : "فهذا الظان من أجهل الناس بعقيدة السلف ، وأضلهم عن الهدى ، وقد تضمن هذا الظن استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة وكبار الذين كانوا أعلم الأمة علمًا ، وأفقهم فهمًا ، وأحسنهم عملاً ،

وأتبعهم سُنناً ، ولازم هذا الظن أن الرسول ـ ﷺ ـ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه ، وهو خطأ عظيم وجسارة قبيحة نعوذ بالله منها"(١) .

* * *

وأضاف أهل السُنة إلى الإيمان بالله ما جاء بالسُنة أيضًا وليس القرآن فحسب ، لأن السُنة "تفسر القرآن وتبين وتدل عليه وتعبر عنه" ـ كما قال ابن تيمية في العقيدة الواسطية ـ وبالتالي فإن "ما وصف الرسول به ربه ـ ﷺ ـ من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك .

وعدوا من هذا : الإيمان بعذاب القبر ، فجاء في "الإحياء" : "أن الإيمان بلا إله إلا الله لا يكتمل ما لم تقترن بها شهادة الرسول ـ ﷺ ـ وإلزام الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والأخرة ، وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر عنه بعد الموت ، وأوله سؤال منكر ونكير ، وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويًا ، ذا روح وجسد ، فيسألانه عن التوحيد والرسالة ، ويقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وهما فتانا القبر ، وسؤالهما أول فتنة بعد الموت ، وأن يؤمن بعذاب القبر وأنه حق وحكمة وعدل على الجسم والروح

---

(١) كتاب تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية ، تأليف عبد الله بن عبد العزيز الجبرين ، الرياض ، من ص ٢٢١ إلى ٢٢٠ بتصرف .

على ما يشاء ، وأن يؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان ، وصفته في العظم ، أنه مثل طبقات السموات والأرض .. الخ" .

وجاء في "العقيدة الواسطية" لابن تيمية : "ومن الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بكل ما أخبر به النبي ـ ﷺ ـ مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وبعذابه ونعيمه ، فأما الفتنة أن الناس يمتحنون في قبورهم فيقال للرجل : من ربك ، وما دينك ، وما نبيك ؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فيقول المؤمن : ربي الله ، والإسلام ديني ، ومحمد ـ ﷺ ـ نبيي ، وأما المرتاب فيقول : ها ، ها .. لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، فيضرب بمرزبة من حديد ، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق ، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى ، فتعاد الأرواح إلى الأجساد .." .

* * *

فانظر كيف أن قبيلة "حدثنا" قدموا لنا العقيدة التي أوجزها الرسول في سطرين : "أن تؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره" .

فحملت قبيلة "حدثنا" العقيدة برؤية الله تعالى في الآخرة ، والله تعالى يقول "لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ" .

وحملت العقيدة الإيمان بعذاب القبر ، وحددت طريقة "الميزان ذي الكفتين واللسان" ، وفرضت على العقيدة الإيمان

بالصفات ، واستبعدت المجاز والتفويض وأن لله تعالى يدين حقيقتين ليستا كأيدي الناس دون أن يخطر ببالهم أن هذا هو محض الشرك ، وأضافت تشديدات نتيجة لفهم مسبق فرض نفسه على الآيات ، وركزت أحاديث أخرى عديدة هذا الإيمان بالعقيدة وإن لم تقدم جديد فيها أو إليها الأحاديث التي استندت إليها لا تصمد للنقد والمساءلة .

هل هناك أبسط وأجمل من تحديد العقيدة الذي جاء به الرسول ؟ فإذا أخطأ بعض الناس أو توهم ، فإننا لا نخرجه من ربقة الإيمان ، لأن هذا الخطأ لن يرقى إلى مستوى الإنكار أو النفي ، وإنما هو يعود إلى الجهل والخطأ ، وعندئذ ينبه إلى خطئه كلمة بكلمة وبرهان ببرهان وينتهي الأمر .

* * *

ثانيًا : **على القرآن** :

تتجلى جناية قبيلة "حدثنا" على القرآن الكريم في ما قدمته من تفسير للقرآن ، وقد رأت قبيلة "حدثنا" أن ابن عباس هو حبر الإسلام وترجمان القرآن ، وملأوا تفسيراتهم بأقواله ، ومع ذلك فقد قال السيد رشيد رضا رحمه الله عن تفسير ابن عباس : "وأما ما روى عن ابن عباس فى تفسيره فأكثره موضوع لا يصح لأنه مروى من طريق الكذابين الوضاعين كالكلبى والسدى ومقاتل بن سليمان. وذكر ذلك الحافظ السيوطى وسبقه إليه شيخ الإسلام

ابن تيمية ، بل إن رواية هؤلاء وأضرابهم التفسير عنه وعن غيره هى المقصودة من قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى "ثلاثة كتب لا أصل لها المغازى والملاحم والتفسير" ، قالوا : إنه أراد كتبًا مخصوصة فى هذه المعانى الثلاثة غير معتمد عليها لعدم عدالة ناقليها ولزيادة القصاص فيها وذكروا منها تفسير هؤلاء بل نقلوا عن الإمام أنه قال فى تفسير الكلبى : "من أوله إلى آخره كذب لا يحل النظر فيه" وقالوا إن كل من ينقل فى تفسيره من الأحاديث الموضوعة لا يوثق بتفسيره بالمأثور ومن هؤلاء الثعلبى والواحدى والزمخشرى والبيضاوى"[1] .

وأهم من هذا ما ذكره ابن تيمية في تفسيره لسورة النور .

(وهذه الكتب التى يسميها كثير من الناس التفسير فيها كثير من التفسير منقولات عن السلف مكذوبة عليهم وقول على الله ورسوله بالرأى بل بمجرد شبهة قياسية أو شبهة أدبية) .

وأما كونه ثابتا عن ابن عباس أو غيره فهذا مما لم يثبت ومعلوم أن فى كتب التفسير من النقل عن ابن عباس من الكذب شىء كثير من رواية الكلبى عن أبى صالح وغيره فلابد من تصحيح النقل لتقوم الحجة"[2] .

---

(١) السيد محمد رشيد رضا رحمه الله فى "الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية" (نشرت فى المجلد الثالث والرابع والسادس من المنار) ص١١ .

(٢) تفسير سورة النور لابن تيمية حققه وخرج أحاديثه محمد إبراهيم زايد وعبد المعطى (دار الوعى – حلب) ص١٩٠-١٩١ .

وهذه الكلمات صريحة فى أن كثيرًا من المنقولات عن السلف مكذوبة عليهم وقول على الله ورسوله بالرأى المجرد بشبهة قياسية أو شبهة أدبية ومن يطالع كتب التفسير يجد الكثير مما يصدق عليه إطلاق الآراء ، أو الاجتهادات الركيكة أو الاستشهادات الباطلة بأبيات من الشعر ما أنزل الله بها من سلطان .

ومما جاءت به قبيلة "حدثنا" أسباب للنزول تضحك الثكلى ، وعمد هؤلاء إلى سورة من أجمل سور القرآن وأشدها تأثيرًا وتعبيرًا عن إحدى الفترات النفسية التى تعتور الأنبياء والمفكرين وأضفى الله تعالى على نبيه فيها من كرمه ورعايته ما يعيد إليه الأمل هى سورة الضحى ، فجعلوا سببها وجود جرو تحت سرير النبى ، قال الحافظ ابن حجر : "قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الآية غريب ، بل شاذ مردود بما فى الصحيح" ، وما فى الصحيح أفضل من هذا، ولكنه يعرض بطريقة تهبط بروعة السورة وعمق المناسبة ومناخها النفسى وما توحى به عن معاناه .

وفى تعليل نزول آية : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ، هذه الآية المعجزة التى تقدم أساسًا لمحكمة عدل دولية ، وتضع قواعد عملها ، يقول بعض المفسرين

إنها "نزلت فى قصية هى أن النبى ركب حمارًا ، ومر على ابن أبي ، فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه ، فقال ابن رواحة : "والله لبول حماره أطيب ريحًا من مسكك ، فكان بين قوميهما ضرب بالأيدى والنعال والسعف" ، فانظر كيف هوى هؤلاء بهذه الآية من روعة التقنين المحكم إلى بول حمار .

وكل ما جاء عن أسباب النزول يصغر أمام ما جاء عن النسخ الذي يرفضه العقل ، لأن الله تعالى يعلم كل شيء الماضي والحاضر والمستقبل إلى يوم القيامة ، وهو لا ينزل الآية اليوم ثم يستبين قصورها فينزل أية أخرى تنسخها ، تعالى الله عن ذلك هذا شيء يرفضه الأطفال قبل الكبار ، وأي شيء يثير العجب أكثر من أن توجد الآية وتقرأ ثم يُدعى نسخها بآية أخرى ، وهناك العجب العجاب نسخ ما لم ترد روايته أصلاً في القرآن مثل آية الرجم المزعومة ، وأغرب أن تنسخ آية أطلقوا عليها أية السيف ، قرابة مائة أية من أيات السماحة والصفح وإحسان المعاملة .

ووصل الإيمان بالنسخ درجة تصورها تلك الفكرة التي جاءت في كتاب من أشهر الكتب عن التفسير هو "مناهل العرفان في تفسير القرآن" للشيخ الزرقاني : "إن أعداء الإسلام من ملاحدة ومبشرين ومستشرقين اتخذوا من النسخ فى الشريعة الإسلامية أسلحة مسمومة طعنوا بها فى صدر الدين الحنيف ونالوا من قدسية القرآن الكريم ، وقد أحكموا شراك شبهاتهم واجتهدوا فى ترويج مطاعنهم حتى سحروا عقول بعض المنتسبين

إلى العلم والدين من المسلمين فجحدوا وقوع النسخ وهو واقع وأمعنوا فى هذا الجحود الذى ركبوا له أخشن المراكب من تمحلات ساقطة وتأويلات غير سائغة"[1] .

فهل الذين يقولون إن القرآن محكم هم الذين ينالون من "قدسية القرآن" ، أو هم الذين يعطلون المئات من آياته المثبتة وأوامره ونواهيه بدعاوى ثبت زيفها حتى من أنصار النسخ أنفسهم .

وأغرب من هذا وأعجب أن يجيزوا للسُنة أن تنسخ القرآن ! بحجة أنها وحى ! وهنا يصل الإعراض أو الغفلة بصاحبها إلى منتهاها ، وعندما يرفض الشافعى ذلك ، فإن الفقهاء المتأخرين أنكروا عليه هذا ورأوا فيه سقطة كبيرة ، فقال الكيا الهراسي : "هفوات الكبار على أقدارهم ومن عد خطوه عظم قدره" ، وكان عبد الجبار بن أحمد كثيرًا ما ينظر فى مذهب الشافعى فى الأصول والفروع ، فلما وصل إلى هذا الموضع قال : "هذا الرجل كبير ولكن الحق أكبر منه !" ، وتطلب الأمر أن يتحايل أنصار الشافعى للشافعى وأن يبحثوا عن محامل يحمل عليها كلامه حتى يمكن أن يتفق مع التيار الغالب الذى كان يجيز نسخ السُنة للقرآن متعللين بتأويلات متعسفة .

* * *

---

(١) مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ج٢ ص ٧٠ .

وأوردوا ما يمكن أن نقول أنه قطعة من اللغو في القرآن الذي أراده أعداء الإسلام وعجزوا عنه ، ولكنهم نالوا مرادهم بوضع أحاديث تنتقض من القرآن .

(١) قالت عائشة كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله وهن مما يقرأ من القرآن رواه الشيخان قال السيوطى : "وقد تكلموا فى قولها وهن مما يقرأ من القرآن ، فإن ظاهره بقاء التلاوة وليس كذلك ، وأجيب بأن المراد قارب الوفاة أو أن التلاوة نسخت أيضًا ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله فتوفى وبعض الناس يقرؤها وقال أبو موسى الأشعرى نزلت ثم رفعت وقال مكى هذا المثال فيه المنسوخ غير متلو والناسخ أيضًا غير متلو ولا أعلم له نظيرًا .

(٢) ورووا عن ابن عمر أنه قال : لا يقولن أحدكم أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر .

(٣) وعن عائشة قالت : كانت سورة الأحزاب تقرأ فى زمن النبى مائتى آية فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن .

(٤) وعن ذر بن حبيش قال لى أبى بن كعب : كم تعد سورة الأحزاب ؟ قلت : اثنتين وسبعين آية أو ثلاثة وسبعين آية ،

قال : إن كانت لتعدل سورة البقرة وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم ، قلت : وما آية الرجم ، قال : إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم .

(٥) وعن حميدة بنت أبي يونس قالت : قرأ عليّ أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة : "إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ، وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى" ، قالت : قبل أن يغير عثمان المصاحف .

(٦) وعن عطاء بن يسار عن أبى واقد الليثى قال كان رسول الله إذا أوحى إليه أتيناه فعلمنا مما أوحى إليه قال فجئت ذات يوم فقال أن الله يقول إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولو أن لابن آدم واديًا من ذهب لأحب أن يكون إليه الثانى ولو كان له الثانى لأحب أن يكون الثالث ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب .

(٧) وأخرج الحاكم فى المستدرك عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله أن الله يأمرنى أن أقرأ عليك القرآن فقرأ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ومن بقيتها لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه سأل ثانيا وأن سأل ثانيا فأعطيه سأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب وأن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل فلن يكفره .

(٨) قال أبو عبيد حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى حرب بن أبى الأسود عن أبى موسى الاشعرى قال نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظت منها أن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لإبن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب .

(٩) وأخرج بن أبى حاتم عن أبى موسى الاشعرى قال كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات ما نسيناها غير أنى حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا مالا تفعلون فتكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة .

(١٠) قال أبو عبيد حدثنا حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة عن عدى بن عـدى قال عمر : كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم ، ثم قال لزيد ابن ثابت كذلك قال نعم .

(١١) حدثنا أبن أبى مريم عن نافع بن عمر الجمحى حدثنى بن أبى مليكه عن المسور بن مخرمة قال : قال عمر لعبد الرحمن بن عوف ألم تجد فيما أنزل علينا أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة فأنا لا نجدها قال سقطت فيما أسقط من القرآن .

(١٢) حدثنا ابن أبى مريم عن أبن لهيعة عن يزيد بن عمرو المغافرى عن أبى سفيان الكلاعى أن مسلمة بن مخلد الأنصارى قال : لهم ذات يوم أخبرونى بآيتين فى القرآن لم

يكتبا فى المصحف فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك فقال ابن مسلمة : إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا ابشروا أنتم المصلحون والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون .

(١٣) وأخرج الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر قال : قرأ رجلان سورة اقرأهما رسول الله فكانا يقرآن بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فأصبحا غاديين على رسول الله فذكرا ذلك له فقال : أنها مما نسخ فالهوا عنها .

(١٤) وفى الصحيحين عن أنس فى قصة أصحاب بئر معونة الذين قتلوا وقنت يدعو على قاتليهم قال : أنس نزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا .

(١٥) وفى المستدرك عن حذيفة قال : ما تقرأون ربعها يعنى براءة .

(١٦) ورووا عن عبد الله بن زرير الغافقى أنه قال لعبد الملك بن مروان عن على بن أبى طالب : "لقد علمنى سورتين علمهما إياه رسول الله ما علمتهما أنت ولا أبوك اللهم أنا نستعينك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك

اللهم إياك نعْبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجنو رحمتك ونخشى عذابك بالكفار .

(١٧) وأخرج البيهقى عن طريق سفيان الثورى عن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب قنت بعد الركوع فقال : بسم الله الرحمن الرحيم اللهم نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى نقمتك إن عذابك بالكافرين[١] .

وملأت قبيلة "حدثنا" التفسير المأثور بالإسرائيليات وفي كتب التفسير : "طامات وظلمات" لا يتسع المجال لذكر نماذج منها وقد يكفى لإعطاء الفكرة المطلوبة أن نستشهد هنا ببعض ما جاء فى فهرس كتاب "الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير" للأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة .

- الإسرائيليات في قصة هاروت وماروت .
- الإسرائيليات في المسوخ من المخلوقات .
- الإسرائيليات في بناء الكعبة .
- الإسرائيليات في قصة التابوت .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، طبعة المعاهد ومكتبة محمود توفيق ، ١٣٥٤ ـ ١٩٢٥ .

- التفسير الصحيح للسكينة .
- الإسرائيليات في قصة قتل داود جالوت .
- الإسرائيليات في قصص الأنبياء والأمم السابقة .
- ما ورد في قصة آدم عليه السلام .
- ما نسب إلى ابن آدم لما قتل أحدهما الآخر .
- ما نسب إلى آدم من قول الشعر .
- الإسرائيليات في عظم خلق الجبارين وخرافة عوج ابن عوف .
- الإسرائيليات في قصة التيه .
- الإسرائيليات في المائدة التي طلبها الحواريون .
- الإسرائيليات في سؤال موسى ربه الرؤية .
- الإسرائيليات في ألواح التوراة .
- الإسرائيليات وخرافات في بني إسرائيل .
- الإسرائيليات في نسبة الشرك إلى آدم وحواء .
- الإمام ابن كثير .
- الإسرائيليات في سفينة نوح .
- الإسرائيليات في قصة يوسف .
- الإسرائيليات في شجرة طوبي .
- الإسرائيليات في إفساد بني إسرايل .
- الكذب على رسول الله بنسبة هذه الإسرائيليات إليه .
- الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف .

- الإسرائيليات في قصة ذي القرنين .
- الإسرائيليات في قصة يأجوج ومأجوج .
- الإسرائيليات في قصة بلقيس ملكة سبأ .
- الإسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحاق .
- الذبيح هو إسماعيل عليه السلام .
- الإسرائيليات في قصة إلياس عليه السلام .
- الإسرائيليات في قصة داود .
- الإسرائيليات في قصة سليمان .
- الإسرائيليات في قصة أيوب .
- مقالة الإمام القاضي أبي بكر بن العربي .
- الإسرائيليات في قصة إرم ذات العماد .
- الإسرائيليات فيما يتعلق بعمر الدنيا وبدء الخلق .
- ما يتعلق بعمر الدنيا .
- ما يتعلق بخلق الشمس والقمر .
- ما يتعلق بتعليل بعض الظاهر الكونية .
- ما ذكره المفسرون في الرعد والبرق .
- أقوال الرسول عند سماع الرعد ورؤية البرق .
- الصواعق .
- جبل قاف المزعوم وحدوث الزلازل .
- الإسرائيليات في تفسير (ن والقلم) .

* * *

ثالثاً : على الرسول – ﷺ – :

ارتكبت قبيلة "حدثنا" جنايتين على الرسول – ﷺ – أحدهما عامة ، والثانية خاصة .

أما الجريمة العامة فهي أنهم نسبوا إليه كل هذا الغثاء من الأحاديث ، بل والخرافات فأساءوا إلى الفكر الإسلامي أجمع وحملوه بتلك المؤتفكات .

والثانية جريمة خاصة فإنهم في حرصهم على الرواية والسند والأسماء الضخمة مثل البخاري وأحمد ومسلم استباحوا النيل من شخصيته وكرامته فرووا حديث سحر الرسول حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ، وأن الذي قام بذلك يهودي ، وأخبر رسول الله – ﷺ – عما عمله ، فأرسل من أحضره ، وعندما رفض الشيخ محمد عبده هذا الحديث ورآه ماسًا بعصمة الرسول – ﷺ – قاموا عليه قومة رجل واحد .

- وادعوا أن الرسول – ﷺ – تلى بعد "واللات والعزى" في سورة النجم "تلك الغرانيق العلا ، وأن شفاعتهن لترتجى"[1] .

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال : قرأ النبي – ﷺ – بمكة "وَالنَّجْم" فلما بلغ "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى" ألقى الشيطان على لسانه "تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهم لترتجى" ، فقال المشركون : ما ذكر

- وقالوا إن الرسول كان يطوف على نسائه جميعًا كل ليلة ، وأنه أوتي قوة ثلاثين رجلاً ، وفاتهم أن قوة الرسل إنما تكون في شجاعة التبليغ وأمانة الأداء .
- وزعموا أن حفصة استأذنت لزيارة أهلها فلما انصرفت أرسل النبي إلى مارية فجاءت فوطأها ، وعادت حفصة وثارت وقالت : أي رسول الله في يومي وعلى فراشي

= آلهتنا بخير قبل اليوم .. فسجدوا ، فنزلت "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ" (الحج : ٥٢) .

- وأخرجه البزار وابن مردوية من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه ، وقال لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور .
- وأخرجه البخاري عن ابن عباس بسند فيه الواقدي وابن مردويه عن طريق الكلبي عن ابن أبي صالح عن ابن عباس وابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس .
- وأورده ابن إسحق في السيرة عن محمد بن كعب وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابن جرير عن محمد بن قيس وابن أبي حاتم عن السدي كلهم بمعنى واحد .
- وكلها إما ضعيفة أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأولى
- قال الحافظ بن حجر ولكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً على أن لها طريقين صحيحين مرسلين أخرجهما ابن جرير ، أحدهما من طريق الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام والأخر من طريق الزهري عن أبي داود عن هند عن أبي العالية ولا عبرة بقول ابن العربي وعياض أن هذه الروايات باطلة ولا أصل لها.
- وليس أدل على هذه المماحكة في رواية كان هناك من الشواهد ما يدحضها ، ولكن المحدثين أكدوها كأن ذلك من مفاخر الرسول - ﷺ -

فحرم مارية على نفسه وأمرها أن تكتم الأمر ، ولكنها لم تفعل[1] .

- وادعو أنه تزوج عائشة وسنها ست سنوات وبني بها وسنها تسع سنوات ، وأثبت التحقيق غير ذلك[2] .
- وادعو أن سُنة الرسول تنسخ القرآن ، وقدموا على لسانه أحاديث تنسخ مئات الآيات وأسباب نزول هزيلة تثير السخرية .

---

(١) أوردت كتب التفسير سببًا آخر أدعى للقبول هو ان الرسول - ﷺ - شرب عسلاً عند زينب بنت جحش ، فتآمرت عائشة وحفصة وسودة أن يقلن للرسول - ﷺ - عندما يأتيهن : أشربت مغافير (وهو شراب له رائحة كريهة) ، فنفى الرسول - ﷺ - وقال : إنما شربت عسلاً عند زينب وحرم الرسول - ﷺ - على نفسه شرب العسل ، وفي الرواية اختلاف ففي بعضها أنه شرب العسل عند زينب بنت جحش ، وفي رواية أخرى أن ذلك كان عند حفصة ، وكان هذا الاختلاف شبهة يمكن بها استبعاد الحديث ، ولكن المحدثين أثبتوه ، بل وأضافوا إليه تلك القصة المنكرة عن طلب مارية .. الخ ، لأن رغبة التجميع هيمنت عليهم ففقدوا ملكة التمييز ، وحرصوا على ذكر أكبر عدد من الروايات حتى وإن كان منها ما يسيء للرسول - ﷺ - والقصة مروية في تفسير الطبري وابن كثير وغيرهما .

(٢) أثبتت دراسة قام بها أحد الصحفيين بمراجعة سنوات ميلاد عائشة وأختها اسماء ، وكذلك ميلاد فاطمة الزهراء ما يثبت أن سنها عندما تزوجها الرسول كان ١٨ سنة ، ونشرت في جريدة "اليوم السابع" ، العدد التجريبي في ٢٠٠٨/٧/١٥ ، وتلك الفرية التي جاءت في 'البخاري اعتبرت مما لا خلاف فيه ، ومن المعلوم للجميع وكانت من أكبر ما شـ ه صورة الرسول - ﷺ - في الخارج .

• وادعو أن الرسول نبي الملحمة ، وأن رزقه بين أطراف رمحه وسيفه" والله تعالى جعله "رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ".

* * *

رابعًا : على المسلم النمطي :

هناك جانب هام من جناية قبيلة "حدثنا" لم يُعن به الكتاب والمؤرخون ، ذلك هو أن قبيلة "حدثنا" هي التي فرضت الشخصية النمطية للمسلم بصورة تجعلها الأسوأ ، وأنها تجعله الذي ينظر دائمًا إلى الوراء .. إلى الماضي ، ولا ينظر أبدًا إلى الأمام .. إلى المستقبل ، وهو الذي يسير مطرقاً منكسرًا حتى لا يتهم بخيلاء أو ينظر إلى نساء ، وهو يبدأ حياته اليومية بمجرد الاستيقاظ من النوم بتلاوة دعاء الصباح ثم يسير إلى الحمام فيدخله بقدمه اليسري ليقضي حاجته ثم ليتوضأ ليصلي ركعتي الضحى ، إن كان قد صلى الصبح في الفجر ، ثم يسير إلى الشارع فيتلو دعاء الخروج ، ويركب تاكسي فيتلو دعاء الركوب حتى يصل إلى مكان عمله ، فإذا أذن الظهر وأقيمت الصلاة ترك كل شيء في يديه ، ولو كان أمامه طابور طويل ينتظر إنهاء مسائله ، وهرع إلى المسجد ليصلي الظهر ، وما توصي به قبيلة "حدثنا" من نفل ، ويعود متثاقلاً إلى الجمهور ليستكمل عمله حتى ينتهي وقت العمل ليعود مكررًا الطقوس والأدعية نفسها ليجد زوجة قد أعدت الغذاء فيغسل يديه ، وقد يفضل أن يأكل بأصابعه

وليس بالشوكة والسكين ، وعليه قبل بدء الطعام تلاوة دعاء ويختم بدعاء آخر ، وهو لا يفتح التليفزيون ليسمع غناء أو يرى تمثيلية ، وإنما ليسمع مواعظ الوعاظ وأقاصيص القصاص عن عذاب القبر والجحيم حتى ينتهي اليوم ليتلو دعاء النوم وينام على شقه الأيمن ، وبهذا ينتهي اليوم ليبدأ يوم آخر ويكرر ما أداه في يومه السابق .

ولا يجد فيما تقدمه قبيلة "حدثنا" حثاً على تعلم مهارات جديدة أو استدراكاً لنقص في المعرفة أو حثاً على معونة المحتاجين من جيرانه ، ولا يسمع شيئاً عن دوره كمواطن ، بل حتى كيف يعامل زوجته ويدرب ابناءه على الاعتماد على النفس والإقدام وتحمل المسئولية .

إن كل بضاعة قبيلة "حدثنا" ضد الحياة ، ضد الحاضر أنها تعيش الماضي وتجهل المستقبل أنها ضد الاعتماد على النفس ، أو الحرية في الإرادة ، أو القدرة على تحمل المسئولية ، أو الرغبة في التقدم ، أو أي شيء يثير الذهن أو يعمل العقل ، أو ما يثبت وجوده في هذا العصر ، فإذا تعرض لأحد تحدياته وقف كطفل مسكين أعزل لا يعرف حلاً ولا يهتدي سبيلاً .

إن قبيلة "حدثنا" جعلت الطابع الرئيسي للمسلم النمطي السلبية والماضوية ، ومعنى هذا أنها حكمت عليه بالإعدام الأدبي والمهني والاجتماعي لفقده كل المقومات التي يمكن بها أن يساهم في حياة العصر .

* * *

خامسًا : على المجتمع :

كان لقبيلة "حدثنا" أثر سيء على المجتمع ، لا يكون من المبالغة أن نقول أنه "خرَّب" المجتمع الإسلامي وأخر تقدمه ، وذلك بما قدمه من أحاديث تفسد الفكر .. وتفسد الحكم .. وتفسد المجتمع ، ولسنا بحاجة لأن نعدد هذه الأحاديث ، وحسبنا أن نشير إلى أربعة أو خمسة منها .

هناك حديث "من بدل دينه فاقتلوه" ، وهو الحديث الذي رفضه الإمام مسلم ، لأن شبهات كانت تحوط راويه عكرمة جعلته لا يدخل له حديثًا في صحيحه ، وقد كانت هذه شبهة كبيرة تؤدي إلى استبعاده خاصة وأنه يقضي بالكفر وبالإعدام على من يرتد ، وكما أشرنا في مكان سابق من هذا البحث ، فلم يكن المطلوب عقاب المرتد ، لأن هذا بعد أن تدعم بنيان الإسلام كان أمرًا مستبعدًا ، وقد يكون هناك العديد من الذين لا يؤمنون بأحد مقدسات الإسلام سواء كانت عن الله تعالى أو الرسول ـ ﷺ ـ ، وهما أصلا الإسلام ، ولكن هؤلاء ما كانوا يرون أي مبرر لكي يعلنوا هذا على الملأ ، وكانوا يحتفظون برؤيتهم لأنفسهم ، أما الذي جعل قبيلة "حدثنا" تتمسك بهذا الحديث ، فهو أنه يمكن أن يكون حماية للعهد والنظام القائم من أي ناقد أو معارض ، خاصة بعد أن أبدعوا صيغة "من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة" ، فهنا ينفتح الباب لوصم كل معارض أنه جحد معلومًا من الدين بالضرورة ، وقضي هذا الحديث على حرية

الفكر أو قل إنه أغلق الباب أمامها ، وإذا انتفت حرية الفكر من مجتمع .. عليه السلام .

أو خذ مثلا حديث "الأئمة من قريش" هذا الحديث الذي حصر الخلافة في قريش ، كأن قريش ستدوم أبد الدهر ، فضلاً عن منافاته لأصول الإسلام التي لا تمالي جنسًا ولا قبيلة ولا أسرة وتقول "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ" ، و "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى" ، فجاء هذا الحديث ليحصر الحكم في قبيلة كانت أولاً الأسرة الأموية ثم كانت الأسرة العباسية التي انتهى الإنتماء إليها ملوك الترك ! ومع الخلاف الكبير ما بين السُنة والشيعة ، فإن الشيعة تؤمن بأن الحكم هو في أبناء عليٍّ بن أبي طالب من فاطمة ، وهو صورة من تركيز وبلورة فكرة الأئمة من قريش .

خذ مثلاً حديث "لا أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" الذي حكم على المرأة بأن لا تلي عملاً فيه مسئولية عامة والحديث لا يقرر مبدءًا ، ولكن يصدر حكمًا فيّ حالة معينة هي أسرة كسرى التي اختلفت في وراثة العرش فولت أمرها امرأة ، فقال هذا الرسول ذلك نبوءة لما سيحدث بالفعل ، ولا يمكن أن يكون الرسول أراد مبدءًا لأمرين ، الأول : أن الإسلام لا يميز بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات والرسول نفسه يقول : "إن النساء شقائق الرجال" ، والأمر الثاني : أنه لو كان مبدءًا لخالف ما جاء في القرآن الكريم عندما امتدح امرأة هي ملكة سبأ ، واعترف

بحكمتها والتجائها إلى الشورى ، وأنها جنبت شعبها الدخول في حرب .. الخ ، وقال : "قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون * قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ" (يوسف : ٣٢ ـ ٣٣) .

فضلاً عن أن الراوي الوحيد لهذا الحديث وهو أبو بكرة وقع عليه عمر بن الخطاب حد القذف ، ورفض أن يتوب فحقت عليه الآية : "وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمْ الفَاسِقُونَ" (النور : ٤) ، ولكن المحدثين والفقهاء غضوا النظر عن هذا لأنه صحابي !!

إن هذا الحديث غيب المرأة عن العمل في المجتمع ، فأخسر المجتمع ما كان يمكن أن يكسبه من النابغات ، كما جنى على المرأة وهي نصف المجتمع فحرمها حقاً لها .

وأخيرًا فلا جدال في أن حديثًا مثل "أطع الأمير وإن جلد ظهرك وغصب مالك" لا يمكن أن يثمر إلا شعبًا ذليلاً خاضعًا يقبل استبداد الحاكم في أسوأ صورة أن يجلد الظهر ويأخذ المال !! فأين هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ وأين هو من المبدأ العام الذي وضعه الرسول "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ؟ وأين هو من الحديث الذي يجعل ممن يجبه الحاكم الظالم بظلمه فقتله فهو وحمزة بن عبد المطلب ـ سيد الشهداء ـ سواء .

إن هذه الأحاديث الأخيرة هي وحدها التي يمكن أن تكبح جماح الحاكم وأن تحول دون أن تفسده السلطة تمامًا فيرى نفسه حاكمًا تطبق أوامره دون معارضة ودون تردد ، إن هذه الأحاديث هي التي تبقى في كل نظام وفي كل عهد هامشًا هامًا من الحرية هو الضمان دون الفساد والاستبداد .

وقد جاء حديث "أطع الإمام وإن جلد ظهرك وغصب مالك" ليقضي عليها وليظهر على أساس شعب العبيد .

وهناك أحاديث عديدة تحرم الموسيقى وتحرم الفن وتجازي من يسمع المعازف بأن يصب "الإنك" وهو الرصاص المصهور في اذنيه ، فضلاً عما أشرنا إليه في جناية قبيلة "حدثنا عن وضع مئات الأحاديث عن العذاب من الموت حتى القذف في الجحيم أبد الدهر ، مما قهر النفوس ومئات الأحاديث عن الغيب هي قطع من الخرافة جعلت عقلية المسلمين عقلية غيبية نقلية .

فهرس

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٤٤٢٤